التوسُّطُ والاعتدالُ في الإدغام في رواية حفص

The Mediation and the moderation in slurring in the narration of Hafs

د. محمد عادل شوك

Dr. Muhammad Adel Shuk

جامعة الملك خالد/ كلية العلوم الإنسانية

E-mail: mshok@kku.edu.sa

الكلمات المفتاحية: عاصم بن أبي النَّجَود, تعريف الإدغام, الإدغام الحاصل في كلمة

Keywords: Asim bin Abi Al-Najoud, definition of diphthong, diphthong that occurs in a word.

الملخص

يسعى هذا البحث للوقوف على ظاهرة لغوية مهمة في العربيـة، هـي ظـاهرة الإدغـام، التي تؤدّي ثلاث وظائف مهمّة:

١. الانسجام الصوتيّ. ٢. تيسير عملية النُّطق. ٣. الاقتصاد في المجهود العضلي.

وذلك حسـبما جاءت في رواية حفص عن عاصـم، بالوقوف على أنواعه التي جاءت فيها، لبيان مدى توسّـطه واعتداله فيما بينها وبين الإظهار، من أجل بيان الصـلة بينها وبين الفصحى من جانب، وبين التأثّر اللهجي من جانب آخر.

وسيكون ذلك من خلال المقارنة بين روايته ورواية شُعبة عن عاصم أيضًـا، وبين ما جاء منه لدى القرّاء الآخرين، ولاسـيَّما أبي عمرو بن العلاء التميميّ، أحد القرّاء السـبعة الكبار، الذي جاءت قراءته انعكاسًـا للبيئة التميميّة في أوضـح صـورها؛ من أجل الوقوف على مدى انعكاس لهجة أسـد، إحدى فروع البيئة التميميّة اللغوية، على قراءة عاصـم وفق رواية حفص، كونه أسديًّا (ولاءً).

Abstract

This research seeks to identify an important linguistic phenomenon in Arabic, which is the phenomenon of immersion, which performs three important functions:

1 -Acoustic harmony. 2 -Facilitate the pronunciation process.
3 -Economy in the muscular effort .

And this is as it came in the narration of Hafs on the authority of Asim, by identifying the types that came in it, to show the extent of his mediation and moderation between it and the manifestation, in order to explain the link between it and the classical on the one hand, and the influence of the dialect on the other hand.

This will be through a comparison between his narration and Shu`bah on Asim's narration as well, and what came of it from other readers, especially Abu Amr bin Al-Ala' Al-Tamimi, one of the seven great reciters, whose reading came as a reflection of the Tamimi environment in its clearest form. In order to determine the extent to which the Asad dialect, one of the branches of the linguistic Tamimi environment, reflects on Asim's reading according to Hafs' narration, being an Asadi (loyalty).

المُقدِّمة:

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّه ثَمَّة مسائل لغوية ذات صلة بكتاب الله عزّ وجل، ما تزال موضع بحث، من ذلك: التوسُّط في الإدغام في رواية حفص عن عاصم؛ لما اشتهر به حفص في اختياره من الميل إلى الإدغام الصغير، على خلاف ما عليه الرواية الأخرى لعاصم، عن طريق شعبة (أبو بكر بن عياش)، الذي مال إلى الإدغام بشكل أوسع، هذا فضلًا على القُرَّاء الآخرين الذين أفرط بعضهم في الإدغام، ولاسيما الكبير منه، الذي عُرف به أبو عمرو بن العلاء، أحد القرّاء السبعة الكبار.

فالأصوات المتجاورة تختلف في نسبة تأثرها فيما بينها، وقد نتج عن ذلك (ظاهرة الإدغام)، ولعل السبب المباشر في حصولها هو الالتقاء المباشر بين الصوتين، بحيث لا يفصل بينهما فاصل، حتى ولو كان الفاصل حركة قصيرة، ولا يتم هذا إلَّا حين يكون الحرف الأول ساكنًا.

وهي ظاهرةٌ تمثِّل تناسقًا إيقاعيًا في اللغة العربية، وبشكل أوضح في القرآن الكريم، لا تؤديه ظاهرة أخرى على هذا النحو من التنويع في أصوات الألفاظ، لاتصالها بأكثر أصوات اللغة، ففيها يتم تلاقي صفات متضادة فيما بينها، لتكوّن جمالًا من نمط جديد، فتلاقي صفات الإطباق والاستعلاء بالصفير والهمس يؤلِّف صوتًا متشاكلًا يوحي بهما، تسمعه الأذن بكل قبول وانسجام، بحيث لا تلمس فيها أي نشاز أو نفور.

وهي تتخذ صورًا مختلفة قد يقع بينها الاختلاف، بسبب اللهجات وبعد الأمكنة وتغيّر الأزمنة؛ لكنْ في القرآن الكريم يقلّ فيها الاختلاف بين القرّاء؛ لأنها تستند إلى قراءة متواترة إلى الرسولﷺ، وحتى يتمّ لا بد من المجاورة التامة للصوتين، سواء في كلمة واحدة أو كلمتين متجاورتين، لأنّه لا يكون إلَّا عند وصل الكلمة بالكلمة التالية، وبينهما ترابط وثيق، وألَّا يكون بين الصوتين المدغمين حركة، لأن الحركة تعد فاصلة بين الحرفين أو الصوتين المراد إدغامهما، فلا تتحقق المجاورة المباشرة التي هي سبب الإدغام، وألَّا يكون بين الصوتين فاصل زمني عند النطق بهما، وأن يكون الحرفان متماثلين أو متقاربين أو متجانسين، أما أن يكونا متباعدين فليس بينهما إدغام.

والسبب الجوهري هو أن المتكلِّم بأيّة لغة إنسانية يسعى لأن يبذل أقل جُهد في إنتاج الكلام، وهذا يفسر كل الظواهر الصوتية التي يدرسها متعلِّم التجويد: كالإدغام، والإخفاء، والقلب، وحتى الإظهار، فالتجويد يكشف عن أوجه تيسير النطق، لا التشدّد في إخراج

الأصوات، ولو تأملت قراءة: (ارْكَمَّعَنَا)، بدلًا من: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ هود: ٤٢، لاتَّضَح هذا الأمر.

وإنّ التنوّع بين أنواع الإدغام عند النون الساكنة والتنوين، وتفاوت مراتب الغنة عند ظهورها أحيانًا أخرى، والجمال المسموع الذي تلقيه عليها صفات الحروف، والجمال الذي اتصفت به هي على انفرادها؛ قد زاد على جمالها جمالًا، وعلى حسنها حسنًا.

فهي بمثابة التنوع الموسيقي بين درجات السلم؛ ولذا فإنّ هذا البحث قد اقتصر على جوانب محددة بيَّنت بعض جماليات الأداء الموسيقي التلقائي للإدغام، فيما عرض له من اشتراطات اللغويين، وتبيان حدّه وغاياته وأسبابه، وتجليات تمثّلاته في الأصوات فيما ورد في القرآن الكريم، في رواية حفص عن عاصم.

ولا أدلّ على ذلك من تأثّر النظام المقطعي للكلمات حين الميل إليها، فمن ذلك على سبيل المثال لفظة ﴿أَمَّنْ لا يَهِدِّي﴾ يونس: ٣٥، فإنّها قبل الإدغام (يَهْتَدِيْ)، وهي تحوي على المقاطع الآتية:

يَهْ + تَ + دِيْ

ص ح ص + ص ح + ص ح ح

وهي بعده على هذا النحو (يَهِدِّيْ)، وتحوي على هذه المقاطع:

يَـ + هِدْ + دِيْ

ص ح + ص ح ص + ص ح ح

فلقد حصل تبدّل بين موقعي المقطعين: الأول والثاني بين الصيغتين، بسبب الذوبان والتماثل التامّ في صوتي (التاء، والدال)، فأدّت إلى تحويل المقطع القصير المفتوح في اللفظ الأول إلى مقطع طويل مغلق ذي حركة قصيرة في اللفظ الثاني، وهو الأمر الذي انعكس على إيجابًا على التلفّظ به بعد الإدغام، وجعل المتكلِّم يتخفّف من خفاء (الهاء) الذي زاد منه مجيئه تاليًا لصوت (الياء) المبتدئ به، وزاد من خفائه حالة التسكين التي صاحبته؛ فكأنّه قد وقع في حفرة زاد فيها عمقًا حالة التسكين الطارئة عليها، فوجد نفسه في اضطرار لأن يتخلّص منها بالإدغام، والمناقلة بين المقاطع، كنتيجة له.

ومن اللطيف في الأمر أنّ المقاطع الصوتية هي نفسها في الصيغتين الأخريين (يِهِدِّي، يَهَدِّي) اللتين خضعتا للإدغام أيضًا، والحال كذلك مع اختلاس حركة الهاء فيما روي عن أبي عمرو، وهو الأمر الذي فصلنا القول فيه في موضعه من البحث، ولولا الإطالة لقمنا بتحليل مواضع الإدغام الأخرى على هذا الغرار، ولكن يكفي من الأمر هذا التمثيل في هذه اللفظة.

هذا، وسيكون الحديث عن ذلك، على النحو الآتي:

التمهيد: ترجمة مختصرة عن حفص، وعن شيخه عاصم.
المبحث الأول: الإدغامُ في العربية (اللهجات، والفصحى).
المبحث الثاني: التوسُّط والاعتدالُ في الإدغام في رواية حفص.
والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

التمهيد: ترجمة مختصرة عن حفص، وعن شيخه عاصم.

١-عاصم بن أبي النَّجَود.

١ - ١: اسمه ونشأته.

هو الإمام الكبير ومقرئ عصره، عاصم بن بهدلة الكوفيّ، مولى لبني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين بن أسد، ويكنى أبا بكر، واسم أبيه: بهدلة، وقيل: إنّه اسم أمه.

كان مولده في إمارة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقد نشأ على دراسة وتعلّم القرآن، وكان رجلًا ضريرًا، روى حماد بن زيد عن عاصم أنّه قال: «كنّا نأتي أبا عبد الرحمن السُّلَمِيّ، ونحن غِلْمة أيفاع»، ويعلّق الإمام الذهبي على هذه الرواية بقوله: «هذا يوضّح أنّه قرأ على السُّلَمِيّ في صغره».[١]

١- ٢: سيرته، وقراءته.

أخذ القراءة عرضًا عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ (ولد في حياة النبي ﷺ، وتوفي سنة ٧٤ هـ)، وزِرّ بن حبيش (كوفي أسدي، ت ٨٢ هـ)، وقرأ عاصم أيضًا على أبي عمرو سعد بن إياس الشيباني الكوفي، وأبو عمرو هذا أدرك النبي ﷺ ولم يره، وقد أخذ القراءة عن عبد الله بن مسعود (ت ٩٥)[٢]، ولم يتأثر عاصم به في قراءته كثيرًا، فلم تظهر آثار قراءته على أحد من رواته.

ويحدثنا عن سيرته ومكانته، تلميذه أبو بكر بن عياش (شُعبَة) فيقول: «كان عاصم إذا صلّى ينتصب كأنّه عود، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، وكان عابدًا خيّرًا يصلي أبدًا، ربما أتى حاجة، فإذا رأى مسجدًا، قال: مِلْ بنا، فإنّ حاجتنا لا تفوت، ثم يدخل فيصلي»[٣]، وقال سلمة بن عاصم: «كان عاصم بن أبي النجود، ذا نُسُك وأدب وفصاحة وصوت حسن».[٤]

وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالكوفة بعد السُّلَمِيّ، فهو شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القرَّاء السبعة، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن، قال

أبو بكر بن عياش: «لمّا هلك أبو عبد الرحمن السُّـــلَمِيّ، جلس عاصـــم يقرئ الناس، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن حتى كأنّ حنجرته جلاجل».[٥]

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل سألت أبي عن عاصم بن بهدلة، فقال: «رجل صالح خير ثقة فسألته: أي القراءة أحبّ إليك قال: قراءة أهل المدينة فإن لم تكن فقراءة عاصم».[٦]

١- ٣: رواته.

روى عن عاصـــم حروفًا من القرآن طائفةٌ من العلماء، منهم: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي، والحارث بن نبهان، وحمزة الزيات[٧]، غير أنّ له راويين مشهورين، هما:

١- حفص بن سليمان، وسأفرد له ترجمة، كونه صاحب الرواية موضع البحث، وروايته ترجع إلى أبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ عن علي بن أبي طالب، وهذه الرواية رواها عاصم عن أبي عبد الرحمن كاملة، لم يخالفه في حرف واحد، وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ من قبيلة بني سليم، وهي قبيلة من قبائل غرب الجزيرة، وكل الشيوخ الذين قرأ عليهم حجازيون، وهذا يفيد أن السمات اللغوية التي تتسم بها هذه قراءة عاصم عنه هي حجازية، وبالتالي فإنّ الظواهر اللغوية التي في رواية حفص عنه ظواهر شائعة في اللغة الحجازية الحضرية.

٢- أبو بكر، شُعبة بن عياش، توفي سنة (١٩٣هـ)، في الشهر الذي توفي فيه الخليفة العباسيّ، هارون الرشيد[٨]، وروايته ترجع إلى زِرّ بن حُبَيْش عن عبد الله بن مسعود، وزِرٌّ من قبيلة أسد، وهي قبيلة من قبائل شرق الجزيرة البدوية، وقرأ أيضًا على عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه، وقبيلة هذيل تقع في بادية الحجاز[٩]، وهي تتسم بالسمات اللهجية للبدو.

١- ٤: وفاته.

اختلف في سنة وفاته، فذَكر صاحب الفهرست أنّه توفي في سنة (١٢٨هـ)، وقيل سنة (١٢٧هـ)[١٠]، وذكر ابن الجزري هذا الخلاف؛ إلاّ أنّه رجّح أن تكون سنة (١٢٩هـ) [١١]، وقد اعتمد الدكتور شوقي ضيف ما رجّحه ابن الجزري.[١٢]

٢- حفص بن سليمان:

٢- ١: اسمه، ونشأته.

هو حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البَزَّاز، نسبة لبيع البَزّ(أي الثياب)، وكنيته أبو عمر، ولد سنة تسعين للهجرة، ويعرف بحُفَيْص، أخذ القراءة عرْضًا وتلقينًا عن عاصم، وكان ربيبه (ابن زوجته).[١٣]

٢- ٢: سيرته، وقراءته.

يعدُّ حفص راوية عاصم الأشهر، فقد روى عنه، وعن قيس بن مسلم، وعلقمة بن مرثد، ومحارب بن دثار، وعدّة آخرين. وأَقرأَ الناس مُدّة، أخذ القراء عرضًا وتلقينًا عن عاصم، وأقرأ بها في الكوفة وبغداد ومكة.

وروايته هي الرواية التي رويت عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، يؤكد هذا ما نقله ابن الجزري عن عاصم، أنه قال لحفص: «أقرأتك بما أقرأني به أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ عن علي بن أبي طالب، وأقرأت أبا بكر بما أقرأني به زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه».[١٤]

قال الداني (ت٤٤٤هـ): «وهو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها» [١٥]، قال يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ): «الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم هي رواية أبي عمر حفص بن سليمان».[١٦]

يقول عنه الذهبي: «وكان ثبتًا في القراءة، واهيًا في الحديث، لأنّه كان لا يتقن الحديث، ويتقن القرآن ويجوّده، وإلاّ فهو في نفسه صادق».[١٧]

قال أبو هشام الرفاعي: «كان حفص أعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم فكان مُرَجَّحًا على شعبة بضبط الحروف».[١٨]

ولم يخالف عاصمًا إلَّا في كلمة (ضَعْفٌ)، في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ الروم: ٥٤، فبينما قرأ عاصم بفتح الضاد، قرأ حفص بالفتح والضم، فالأول عن عاصم، والثاني عن نفسه؛ للأثر عن رسول الله ﷺ[١٩]، وبالفتح طُبعت عموم المصاحف برواية حفص عن عاصم، ولاسيّما طبعة المدينة النبوية.

٢- ٣- وفاته.

توفي رحمه الله سنة (١٨٠هـ) على الصحيح، وقيل: بين الثمانين والتسعين بعد المائة. فأما ما ذكره أبو طاهر من أبي هاشم وغيره من أنه توفي قبل الطاعون بقليل، وكان الطاعون سنة (١٣١هـ)، فذاك حفص بن سليمان المنقري البصري، من أقران أيوب السختياني، قديم الوفاة، فكأنه تصحيف عليهم والله أعلم.[٢٠]

المبحث الأول: الإدغامُ في العربية (اللهجات، والفصحى).

الإدغام ظاهرة لغوية قديمة لاحظها علماء العربية منذ وقت مبكر، فقد أشار إليها الخليل بقوله: «اِعلمْ أن الراء في اقشعرَّ واسبكرَّ راءان، أدغمت واحدة في الأخرى، والتشديد علامة الإدغام»[٢١]، وجاء بعده تلميذه سيبويه، وكان الرائد إلى تخصيص مبحث مستقل وكبير للإدغام، تناول فيه كل مناحي هذه الظاهرة وقسمها على أقسام هي[٢٢]:

١ . الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعًا واحدًا وهو إدغام المثلين.

٢ . الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد.

٣ . الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا.

٤ . الإدغام في بعض الحروف المتقاربة في المخرج وأخرى غير متقاربة.

٥ . الإدغام في بعض الألفاظ الشاذة.

ولقد عني القدماء والمُحدَثون بدراسته، واعتنوا به عناية فائقة، وقد أفرد له المعنيون من القرَّاء واللغويين والنحويين فصولًا ومؤلفات بأكملها. [٢٣]

١-١: تعريف الإدغام:

في اللغة: هو إدخال حرف في حرف، يقال: أدغمت الحرف وادّغمتُه على افتعلتُه، والإدغام: إدخال اللجام في أفواه الدواب.[٢٤]

وقال الخليل (ت١٧٥هـ): «والدَّغْمَة اسمٌ من إدغامكَ حرفًا في حرف، وأدغمتُ الفرسَ اللِّجامَ أدخلتُهُ في فِيه»[٢٥]. فالإدغام هو: الإدخال، أي: إدخال شيء في شيء آخر.[٢٦]

وفي الاصطلاح: أُخذ معناه من المعنى اللغوي، فلا يكاد يخرج عن مدلوله. يقول ابن خالويه (ت٣٧٠هـ): «هو إظهار الكلمتين كإعادة الحديث مرتين، أو كخطو المُقَيَّد، فأسكن الحرف الأول وأدغم في الثاني ليعمل اللسان مرة واحدة».٢٧

أما أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) فيرى أنّ الإدغام هو «أن تصل حرفًا ساكنًا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعةً واحدة».[٢٨]

وقريب منه قول مكي القيسي (ت٤٣٧هـ): «الإدغام معناه إدخالُ شيء في شيء، فمعنى أدغمتُ الحرف في الحرف: أدخلتُه فيه، فجعلتُ لفظه كلفظ الثاني فصار مثلين، والأول ساكن، فلم يكن بدّ من اللفظ بهما لفظةً واحدة كما يصنع بكل مثلين اجتمعا والأول ساكن».[٢٩]

ويعبّر ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) عن الإدغام بأنه: «هو اللفظ بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا».[٣٠]

وهو يكون حينما يكون الصوت الأول ساكنًا، أو بحذف حركته إن كان متحركًا- كما سنعرف في الإدغام الكبير- والثاني متحركًا فينطق بالصوتين من موضع واحد، ليعمل اللسان فيه مرةً واحدةً.

أما المُحدَثون فإنّهم عدُّوه ضربًا من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة، ويكون التأثير تقدميًا (مُقْبِلًا) إذا أثّر الحرف الأول بالثاني،

ورجعيًا (مُدْبِرًا) إذا أثّر الحرف الثاني بالأول، ومثال ذلك نحو: ادّكر، إذ إنّ أصلها: اذ تكر ـ اذ دكر ـ اد دكر ـ ادّكر.

فبتأثير الحرف الأول وهو الذال قلبت التاء دالًا، ثم أثر الحرف الثاني وهو الدال في الأول فقلبت دالًا، ثم أدغمت. ومن أمثلة ذلك في القراءات. قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ الفاتحة: ٣١[١]، ويشير الدكتور رشيد العبيدي إلى أنّ هذا التأثير خاضع لغلبة الأقوى على الأضعف.[٣٢]

١- ٢: الغاية من الإدغام:

إنّ العرب حينما أَوْلَتْ ظاهرة الإدغام أهميتها، وغدت من معالم البيئة اللغوية عندها؛ كان ذلك لما فيها من التخلّص من الثقل والمشـقة التي تنتج عن التقاء الأصـوات ببعضـها البعض، فكانت السـبيل إلى التخفُّف من ذلك، فهي في عمومها تدور حول قطب واحد هو التخلص من ثقل النطق الذي يحدث نتيجة حركات اللسـان حركات متماثلة في نطق أصـوات متماثلة أو متقاربة إذ يقول: «لأنّهم إنْ بيَّنوا ثَقُل عليهم لقرب المخرجين». [٣٣]

وبذلك فإنّه حين الحديث عن الغاية من الإدغام سيتضح لنا سعي العرب إلى التخفُّف من الاستثقال في حديثهم، باللجوء إلى عدد من الوسائل والطرق في كلامها، منها (الإدغام)، يقول سيبويه (ت١٨٠هـ) ذاكرًا السبب: «يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صـار ذلك تعبًا عليهم أن يداركوا في موضـع واحد ولا تكون مهملة، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعةً واحدةً إذ كان أخفّ على ألسنتهم»[٣٤]، ويقول المبرد (ت٢٨٥هـ): «وإنّما الإدغام نقل الأثقل إلى الأخفّ»[٣٥]، ويقول مكي القيسـي: «وعلة ذلك إرادة التخفيف، لأنّ اللسـان إذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج بعينه ليلفظ بحرف آخر مثله، صعب ذلك».[٣٦]

وذكر الداني (ت٤٤٤هـ) أنّ «الإدغام تخفيف وتقريب... وإنّما أدغمت القرَّاء والعرب طلباً للتخفيف وكراهية الاستثقال، بأن يزيلوا ألسنتهم عن موضع واحد ثم يعيدوها إليه، إذ في ذلك من التكلف ما لا خفاء فيه».[٣٧]

وقد أشار إلى ذلك أيضًا أبو شامة (ت٦٦٥هـ) في مصنّفه إذ يقول: «وإنَّما فعلت العرب ذلك طلبًا للخفة لما ثقل التقاء الحرفين المتجانسين والمتقاربين على ألسنتهم».[٣٨]

ويقول ابن أبي مريم (ت٤٤٠هـ) موضحًا ذلك بشيء من التفصيل: «وإنّما وقع الإدغام في كلام العرب، لأنّ الكلمة إذا كانت حروفها مختلفة كان أخف على لسـانهم من أن يكون البعض من حروفها مختلفًا، والبعض متفقًا، وذلك أنّه إذا وقع في كلمة حرفان مثلان، ثقل على المتكلم من جهة أنه إذا ترك مخرج حرف وعاد إليه كان بمنزلة من قَطعَ مسـافة ثم رجع

القهقرى، وهذا ثقيل عندهم، فإذا أمكن أن ينبوَ اللسان عنهما نبوةً واحدة، كان أسهل من تحريكها بحركتين مع اتفاقهما».[٣٩]

فالإدغام إذن هو وسيلة يُجتاز بها ثِقَلُ اجتماع صورتين لهما خصائص مشتركة في المخرج أو الصفة كإدغام المتماثلين، أو لهما خصائص جزئية في المخرج أو في الصفة أو في كليهما كإدغام المتقاربين والمتجانسين، ممّا يجعلهما صوتًا واحدًا يسهل التكلم معه بصورة سليمة وسريعة[٤٠]، وهو: «ظاهرة راقية تهدف إلى التخفُّف من بعض القيود النطقية، بتحقيق الانسجام بين الأصوات المتقاربة».[٤١]

والإدغام لغة القبائل النجدية، سُكنى المناطق البدوية، كتميم وقيس وأسد، وأمّا الإظهار (فكّ الإدغام) فهو لغة القبائل الحجازية، سُكنى المناطق الحضرية، التي تميل إلى التخفيف من سرعة النطق وتحقيق الأصوات وهي الحجاز.[٤٢]

يقول الدكتور شاهين: «والبيئات البدوية... هي القبائل التي هاجرت في صدر الإسلام (عقب الفتح) إلى العراق حيث استوطنت الكوفة والبصرة»[٤٣]، ويقول د. إبراهيم أنيس: «فإذا تذكرنا أنّ البيئة العراقية قد نزح إليها قبائل أقرب إلى البداوة ممّن عاشوا في البيئة الحجازية، أَمكنَنَا أن نتصور أنّ الإدغام كان أكثر شيوعًا في لهجات القبائل النازحة إلى العراق، وبذلك نستطيع بعد هذا أن نستنبط أنّ القبائل التي أثّرت في البيئة العراقية كانت تميل لهجاتها بوجه عام إلى الإدغام، وأنّ قبائل الحجاز كانت تميل إلى الإظهار».[٤٤]

وهذا ما يفسّر اختيار أغلب القرّاء الكوفيين، وكذا أبي عمرو البصري، الذين يمثلون البيئة العراقية مذهبَ الإدغام في روايتهم عن أئمتهم في القراءة.

١- ٣: أقسام الإدغام:

يقسِّم العلماءُ الإدغامَ على نوعين:

الأول- الإدغام الكبير:

وهو ما كان فيه الأول من الحرفين متحركًا، وهو كما وصفه ابن الجزري «مُختصٌّ بإدغام المُتحرِّك»[٤٥]، سواءٌ أكان: مثلين، أو متجانسين، أو متقاربين، ويعلّل القرّاء سبب تسميته بالكبير؛ «لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل: لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه، وقيل: لِمَا فيه من الصعوبة، وقيل: لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين، والمختص من العشرة هو أبو عمرو بن العلاء، وهو ليس بمنفرد به؛ بل قد ورد أيضًا عن الحسن البصري وابن مُحَيْصِن والأعمش وطلحة بن مصرف وعيسى بن عمر ومسلمة بن عبد الله الفهري ومسلمة بن محارب السدوسي ويعقوب البصري، وغيرهم»[٤٦]، وحتى حمزة من القرّاء الكوفيين السبعة، قد وافقه في مواضع معدودة ذكرها العلماء[٤٧]، وقد بلغ أخذ أبي عمرو به في

قراءته درجةً جعلته يرى أنّ «الإدغام كلامُ العرب الذي يجري على ألسنتها، ولا يحسنون غيره».[٤٨]

الثاني- الإدغام الصغير:

وهو الذي يكون الأول منهما ساكنًا، وليس فيه إدغام متحرك ولا مِثْل[٤٩]، وقد قسَّمه القرَّاء على ثلاثة أقسام:

١- الواجب: وهو ما التقى فيه حرفان مثلان أو متجانسان أو متقاربان أولهما ساكن نحو: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ﴾ آل عمران: ٧٢، و﴿رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ البقرة: ١٦، وذلك بشرطين:

أولهما: ألَّا يكون أول المثلين حرف مدٍّ نحو: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ المعارج: ٤.

وثانيهما: ألَّا يكون أول المتجانسين حرفًا من حروف الحلق نحو: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ الزخرف:٨٩.

٢- الممتنع: وهو أن يتحرك أول الحرفين ويسكن ثانيهما نحو: ﴿أَضْلَلْتُمْ﴾ الفرقان: ١٧.

٣- الجائز: وهو الذي جرت عادةً كُتُبُ القرَّاء على ذكره في مواضع الخلاف بين القُرَّاء، وهو ينحصر في ستة مباحث، هي[٥٠]:

١. ذال: إذْ.

٢. دال: قَدْ.

٣. تاء التأنيث الساكنة.

٤. لام (هَلْ، وبَلْ).

٥. حروف قَرُبَتْ مخارجُها.

٦. إدغام حروف الهجاء في أوائل السور.

١- ٤: بين الإدغام والإظهار:

الإظهار: لغةً: مأخوذٌ من (ظهر)، و«الظهرُ من كلّ شيء خلافُ البطن، والظاهرُ خلاف الباطن، ظهرَ يظهرُ ظهورًا، فهو ظاهرٌ وظهير».[٥١]

واصطلاحًا: «فصلُ الحرف الأول من الحرف الثاني، من غير سكت عليه، أي هو النطق بالحرفين، كلُّ واحدٍ منهما على صورته، مُوَفًّيا صفته، مُخلَصًا إلى كما بِنيته».[٥٢]

والإظهارُ في الحروف هو الأصل؛ لأنّه الأكثر في كلام العرب، ولأنّ الواقف في الكلام يُضطر فيه إلى الإظهار والتبيين؛ لاختلاف لفظ الحرفين[٥٣]، وقد يطلق عليه (فكُّ الإدغام).

ومثلما جاء الإدغام، ولاسيّما (الكبير منه) في لغة التميميين، فإنّ الإظهار جاء عمومًا في لغة الحجازيين، ما عدا (الصغير) منه، وما هو مندرجٌ في باب إدغام النون الساكنة

والتنوين؛ وذلك جريًا على أنّ اللغة قد وضــعت (٢٩) حرفًا لبنائها، ومن تمام ذلك أن يأتي كلّ حرف منها مستقلًا عن الآخر، وغير مدغم فيه، إلّا في حالات معيّنة، لها مبرّراتها وأسبابها.

فكُّ الإدغام:

وقبل أن أختم هذا المبحث يمكن لنا أن نذكر مثالًا يوضـح موقف اللهجات من الإدغام وفكّه:

- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدَّ﴾ المائدة: ٥٤.

قرأ بفك الإدغام نافع وابن عامر، أي: (يرتدد)، والباقون بدال واحدة مشددة مفتوحة أي: على الإدغام[٥٤].

وعن حجة من قرأ بفك الإدغام، يقول مكي: لـــ«إجماع الجميع في سورة البقرة على ذلك ﴿ومَن يَرْتَدِدْ﴾ البقرة: ٢١٧،... وهي لغة أهل الحجاز... وحجة من أدغم أنّه أراد التخفيف لما اجتمع مثلان فأســكن الأول للإدغام فاجتمع ســاكنا فحرّك الثاني ثم أدغم الأول فيه وهي لغة بني تميم».[٥٥]

ويذكر ابن الجزري (ت٨٣٣هـــــ) في فك الإدغام معنىً لطيفًا: «إنـه بدالين لإجماع المصاحف عليه كذلك- أي في سورة البقرة- ولأن طول سورة البقرة يقتضي الإطناب وزيادة الحرف من ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ومَن يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَه﴾ في الأنفال: ١٣، كيف أجمع على فك إدغامه، وقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ﴾ في الحشر: ٤، كيف أجمع على إدغامه؟ وذلك لتقارب المقامين من الإطناب والإيجاز والله أعلم».[٥٦]

المبحث الثاني: التوسُّط والاعتدالُ في الإدغام في رواية حفص.

٢- ١: مفهوم التوسُّط والاعتدال في الإدغام.

في اللغة:

جاء في لسان العرب: «أَوسط الشيء أَفضله وخياره كوسَط المرعى خيرٌ من طرفيه، وكوسَـــط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكن الراكب؛ ولهذا، قال الراجز: إِذا رَحلْتُ فاجْعلاني وَسَطَا[٥٧]، ومنه الحديث: «خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُها»[٥٨]؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الحج: ١١؛ أَي على شَـــكّ فهو على طرَف من دِينه غيرُ مُتوسّـــط فيه ولا مُتمكِّن، فلما كان وسَـطُ الشـيء أَفضـلَه وأَعْدَلَه جاز أَن يقع صـفة، وذلك في مثل قوله تعالى وتقدّس: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَـطًا﴾ البقرة: ١٤٣؛ أَي عَدْلاً، فهذا تفسـير الوسَـط وحقيقة معناه وأَنه اسم لما بينَ طَرَفَي الشي، ويقال: وسَطْتُ القومَ أَسِطُهم وَسْطاً وسِطةً أَي تَوَسَّطْتُهم. ووَسَطَ الشيءَ وتَوَسَّطَه: صار في وسَطِه. ووُسُوطُ الشمس: تَوَسُّطُها السماء».[٥٩]

وفي الاصطلاح:

هو الجمعُ بين نمطين من الأداء الصوتي، كالفتح والإمالة، والهمز والتخفيف، والإدغام والإظهار.... بشكل يقْرُب من التساوي في الاختيار.

حكى ابن مهران عن خلف قال: «سـمعت الفراء، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ) يقول: أفرطَ عاصمٌ في الفتح، وأفرطَ حمزةُ في الكسر (الإمالة)، وأَحَبُّ إليّ أن تكون القراءة بين ذلك، قال خلف: فقلت له: ومن يطيق هذا؟ قال: كذلك ينبغي أن تكون القراءة بين الفتح والكسـر، مثل قراءة أبي عمرو، وإنّما يَتْرُك ذلك مَنْ يَتْرُكُه لِمَا لا يقدر عليه؛ لأنّه أمرٌ صعب شديد».[٦٠]

قال أبو علي الفارسـي (ت ٣٧٧هـ): «وأمَّا من جمع بين الأمرين، كما رُوي عن نافع أنه فتح (تَلَا)، وأمال غيرها، يقصـد (دَحَا)، وكلٌّ واحد من الإمالة وخلافها جائز، فقولُه حسـنٌ لأخذه بشيئين: كلِّ واحد منهما مسموعٌ مأخوذٌ به، فأخذَ بأحدهما مرة، وبالآخر مرة أخرى».[٦١]

وهو قريبٌ من ذلك عند المُحدَثين، يقول د. عبد الصـبور شـاهين: «إذا تأملنا موقف أبي عمرو في ضـوء ما جرى عليه لسـان أهل الحجاز من عدم الهمز، وما جرى عليه لسـان تميم من التحقيق المطلق للهمزة؛ وجدناه يتخذ موقفًا وسطًا بين الطرفين، وهو موقف الاعتدال الذي اتصف به في كلِّ اختياره».[٦٢]

وبهذا فالمرادُ بالتوسُّط والاعتدال اللغويّ:

الجمعُ بين ظاهرتين لغويتين متقابلتين في البيئة اللغوية العربية؛ بحيث يختار المتكلِّم أو القارئ إحداهما في سـياق صـوتيّ ما، والأخرى في سـياق آخر، ضـمن مبرِّرات مقنعة في الأداء الصوتي.

فنجد القارئ يجمع في روايتـه – مثلًا – بين ظاهرتي: الهمز والتسـهيل، أو الفتح والإمالة، أو الإدغام والفكّ، أو المدّ والقصـر، أو الإظهار والإخفاء ...، بما ينسـجم والنمطَ اللغويَّ الـذي يميلُ إليـه في اختيـاره، من حيـث المعيـاريّـة والتعليـل، من غير تركٍ للأمر على إطلاقه، في تفضيل هذا النمط أو ذاك.

وغالبًا ما يكون الأمر بين ما بات يُعرف ببيئتي الحجاز وتميم، اللتين وثَّق النحاة واللغويون ملامحهما اللغوية حين جمعهم اللغة، فتحقيقُ الهمز – مثلًا – ممّا عرفت به البيئة التميمية، في حين مال الحجازيون إلى غير ذلك.

وليس الأمر من باب الجواز عند من اعتاد الإدغام، في مقابل الفكّ والإظهار، تمامًا مثلما هي عليه الحال في الظواهر اللغوية الأخرى، على خلاف ما يرى الرَّضِـي[٦٣]؛ بل ذلك ممَّا يوجبه لسانُها كما يرى د. إبراهيم أنيس: «إنّه لو صحَّ هذا القول الذي يراه الرَّضِي، لأمكن أن نتصـور أنّ من القبائل من كانوا يميلون ويفتحون كما تشـاء لهم أهواؤهم، وذلك أمر لا يقبله اللغويُّ الحديث، إذ ليس الأمرُ أمرَ مواضـعة مقصـودة مُتعَمَّدَة، وإنّما هي عادةٌ لكلِّ قبيلة، فتلك

التي تميل لا تستطيع غير الإمالة، وتلك التي تفتح لا تطاوعها ألسنتها بغير الفتح، فالمسألة لا تعدو أن تكون عادةً، ككلِّ العادات اللغوية التي يتوارثها الخلفُ عن السلف دونما شعور بها، فكان واجبُ النحاة أن يقولوا: إنَّ الإمالة لا مفر منها عند تلك القبيلة التي تميل في كلامها، والفتح واجب عند من لا يستطيعون غيره كمعظم الحجازيين».[٦٤]

فذلك عند أبناء البيئة عادةٌ لغوية، صارت فيما بعد اختيارًا؛ فدخل حينها الأمرُ في دائرة الجواز، حينما مالت الناس إلى العربية الفصحى، من غير هجران لِلُحُون اللهجات، وعزّز من ذلك جعلُها لغة رسمية للدولة الإسلامية منذ عهد النبيّ ﷺ، والدول المتعاقبة بعدها؛ فأضحَتْ فيما بعد لغةً مشتركة (مُوحَّدة)، لا لغة قبيلة أو قوم بعينهم.

صحيح أنّ ظاهرة التأثّر والتأثير بين الأصوات قضية يقرّ بها علماء الأصوات، غير أنّ الأمر ليس على إطلاقه في الفصحى، وهو ما أخذت به أهل الحجاز في مقابل التميميين الذين أفرطوا فيه، لدرجة أنّه أضحى من سمات لهجتهم وبيئتهم اللغوية، وهو ما نلاحظه في رواية أبي عمرو بن العلاء، الذي جسّد لهجة قومه في قراءته أيّما تجسيد، مستندًا إلى ما جاء في السند عن النبيّ ﷺ من القراءة بها، وذلك أنّ اللغة تتساهل مع الظواهر اللغوية التي لا تمسّ نظامها النحويّ والصرفيّ.[٦٥]

٢- ٢: مظاهرُ التوسُّط والاعتدال في الإدغام في رواية حفص.

سبق القول: إنّ العلماءَ يقسِّمون الإدغامَ على نوعين:

- الإدغام الكبير.
- الإدغام الصغير.

وهم أيضًا قسّموا الصغير على ثلاثة أقسام:

- الواجب.
- الممتنع.
- الجائز: وهو الذي جرت عادةً كُتُبُ القرَّاء على ذكره في مواضع الخلاف بين القُرَّاء، وهو ينحصر في ستة مباحث، هي[٦٦]:

١. ذال: إذْ.
٢. دال: قَدْ.
٣. تاء التأنيث الساكنة.
٤. لام (هَلْ، وبَلْ).
٥. حروف قَرُبَتْ مخارجُها.

٦. إدغام حروف الهجاء في أوائل السور.

وفي هذا النوع سينحصر كلامنا؛ لأن الواجب والممتنع قد اتفق عليه جميع القرَّاء، والمتتبع لهذا النوع من الإدغام الصغير يجد أن القرَّاء الكوفيين إلَّا عاصمًا، من المكثرين للإدغام في هذه مباحثه على نسب متفاوتة، ووافقهم أبو عمرو بن العلاء وغيره في بعض المواضع.

وهو ما سنقف عليه للحديث عن مظاهر التوسُّط في الإدغام في رواية حفص، وسيكون ذلك من خلال الوقوف على مواضعه، لبيان موقف حفص منها:

١-مذهبُه في إدغام ذال (إذْ):

أدغم خلاد عن حمزة والكسائي الذال من (إذْ) عند خمسة أحرف وهي (الزاي، والسين، والصاد، والتاء، والدال) ولم يدغما عند حرف (الجيم)، أما خلف عن حمزة فقد أدغم عند التاء والدال فقط، أما عاصم في رواية حفص فقد أظهر الذال في جميع ذلك.[٦٧]

نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ البقرة: ١٦٦، ﴿إِذْ دَخَلُواْ﴾ الحجر: ٥٢، ﴿وَإِذْ زَيَّنَ﴾ الأنفال: ٤٨، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ النور: ١٢، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾ الأحقاف: ٢٩.

وحجة إدغام الذال من (إذْ) في التاء:

- أنّهما تواخيا في المخرج، وفي إدغام لام التعريف فيهما.
- وأنّهما تقاربا في القوة والضعف، فالذال فيها جهر يقوّيها وفيها رخاوة تضعفها. [٦٨]
- وكذلك التاء فيها شدة تقوّيها وفيها همس يضعفها، فجاز الإدغام لذلك.

وحجة عاصم في الإظهار:

- فلأنّه الأصل، ولأنّهما منفصلان، ولأنّ الجهر الذي في الذال أقوى من الشدة التي في التاء.[٦٩]

وحجة إدغام الذال من (إذْ) في الدال:

- اشتركا في أنّهما من حروف الفم، وفي إدغام لام التعريف فيهما، وفي أنهما مجهوران، فحسن الإدغام لاشتراكهما في ذلك.
- وزاد ذلك قوة أنّ الدال من الحروف الشديدة، والذال من الحروف الرخوة، والرخاوة أضعف من الشدة، فإذا أدغمت انتقلت الذال من الرخاوة إلى الشدة، وذلك تقوية للحرف فحسن الإدغام وقوي.

أما حجة إدغام الذال من (إذْ) في الزاي:

- اشتركا في المخرج من الفم، وفي إدغام لام التعريف فيهما، وفي الجهر والرخاوة.

– الزاي أقوى من الذال للصفير فيها، فلما كان الإدغام يزيد الزاي قوة بالصفير، حسن الإدغام وقوي.

أما مع السين:

– اشتركا في المخرج من الفم، وفي إدغام لام التعريف فيهما.

– تقاربهما في القوة والضعف، لأن السين فيها ضعف مكرر لأنها مهموسة رخوة، وفيها صفير يقويها، والذال فيها رخاوة تضعفها كالسين، وفيها جهر يقويها يوازن الصفير الذي في السين والصفير أقوى.

أما مع الصاد:

– اشتركا في المخرج وفي إدغام لام التعريف فيهما.

– الصاد أقوى من الذال بالصفير والإطباق والاستعلاء والتفخيم اللواتي فيها، فإذا أدغمت أبدلت من الذال حرفاً أقوى منها بكثير.[٧٠]

أما وجه الإظهار عند الجيم:

– لأنّ الإظهار هو الأصل.

– ولانفصال (إذْ) عن الجيم بعدها في أي كلمة.

– ولام التعريف لا تدغم في الجيم.

– ولأنّ الجيم ليس كباقي الحروف من حيث القرب من الذال مخرجًا.[٧١]

واتفق القرَّاء على إدغام ذال (إذْ) في المتماثلين والمتجانسين: نحو: ﴿إِذْ ذَّهَبَ﴾ الأنبياء: ٨٧، ﴿إِذْ ظَّلَمُواْ﴾ النساء: ٦٤.

من خلال ما تقدم نلحظ أمرًا بارزًا، هو قانون الأقوى والأضعف، فالحرف الذي فيه صفات أقوى، قد أثّر في الحرف الذي هو أضعف منه، مما أدّى إلى قلب هذا الحرف الضعيف إلى جنس الحرف القوي، وإدغامه فيه، ومتى ما كان الحرف قويًا، كان إدغامه في الأضعف أحسن وأقوى.

ويشير د. غانم قدوري الحمد إلى أنّ مكي القيسي هو رائد هذه النظرية في الأصوات، ونقل لإثبات ذلك له نصوصًا كثيرة، منها قوله: «والقوي من الحروف إذا تقدمه الضعيف مجاورًا له جذبه إلى نفسه إذا كان من مخرجه، ليعمل اللسان عملًا واحدًا في القوة من جهة واحدة»[٧٢]، ونجد هذا الأمر واضحًا في الأمثلة التي ذكرها جميعها.

٢–مذهبُه في إدغام دال (قَدْ):

أدغم حمزة والكسائي ووافقهم أبو عمرو البصري وهشام، دالَ (قَدْ) عند ثمانية أحرف وهي (الجيم والزاي والسين والشين والصاد والضاد والظاء والذال)، وأما عاصم فأظهر الدال في جميع ذلك، ووافقه ابن كثير وقالون. [٧٣]

نحو: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءكُم﴾ البقرة: ٩٢، ﴿ولقَدْ ذَرَأْنا﴾ الأعراف ١٩٢، ﴿وَلقَدْ زيَّنا﴾ الملك: ٥، ﴿قَدْ سَألَها﴾ المائدة: ١٠٢، ﴿قَدْ شَغَفَها﴾ يوسف: ٣٠، ﴿ولقَدْ صَرَّفْنَا﴾ الإسراء: ٤١، ﴿فَقَدْ ضَلُّوا﴾ النساء: ١٦٧، ﴿فَقَدْ ظَلَم﴾ البقرة: ٢٣١.

وحجة الإدغام في هذا كله خاضع لقانون الأقوى والأضعف كما ذكرت سابقًا، وضابط ذلك: أنّهما اشتركا في بعض الصفات – مع كون هذه الحروف أقوى من الدال– أو في المخرج أو في إدغام لام التعريف فيهما إلَّا الجيم.[٧٤]

بقي لنا أنْ أشير إلى أنّ مكي القيسي قد وصف إدغام الدال من (قَدْ) في السين والشين بقوله: «وفيه بعض البعد»[٧٥]، كما أشار ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) إلى قول للكسائي يقول فيه: «إدغامها أكثر وأفصح وأشهر، وإظهارها لكنة ولحن»[٧٦]، لكن النحاس يقول: «إن شئت أدغمت الدال في السين؛ لأنّ مخرج الدال والسين جميعًا من طرف اللسان».[٧٧]

وفي حقيقة الأمر: إنَّ القراءة سُنَّة مُتَّبَعة، ولا فضل لإحدى القراءات على الأخرى، وإنّ الإظهار والإدغام لغتان متواترتان وردتا على لسان العرب، قد تكون عند أحدهم هذه اللغة فصيحة، وعند الآخر أفصح.

واتفق القرَّاء على إدغام الدال في المتماثلين نحو: ﴿وقَدْ دَخَلُوا﴾ المائدة: ٦١، وفي المتجانسين نحو: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ﴾ البقرة: ٢٥٦.

٣-مذهبُه في إدغام تاء التأنيث الساكنة:

أدغم حمزة والكسائي ووافقهم أبا عمرو، التاء في ستة حروف وهي: (الثاء والجيم والصاد والسين والظاء والزاي)، أما عاصم فأظهر التاء عند ذلك كله، ووافقه ابن كثير وقالون[٧٨]. نحو قوله تعالى: ﴿بَعُدَتْ ثَمُود﴾ هو: ٩٥، ﴿نَضجَتْ جُلُودُهُم﴾ النساء: ٥٦، ﴿خَبَتْ زِدْناهُم﴾ الإسراء: ٩٧، ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ﴾ البقرة: ٢٦١، ﴿لَهُدِّمَتْ صَوامِع﴾ الحج: ٤٠، ﴿كَانَتْ ظَالِمة﴾ الأنبياء: ١١.

وحجة الإدغام في هذا كله خاضع لقانون الأقوى والأضعف كما ذكرت سابقًا، وضابط ذلك: أنّهما اشتركا في بعض الصفات– مع كون هذه الحروف أقوى من التاء إلاّ مع السين فإنه بمثل حاله من القوة والضعف– أو في المخرج أو في إدغام لام التعريف فيهن إلاّ الجيم.

يقول مكي: «فحَسُن الإدغام لذلك لأنّك تبدل من التاء عند الإدغام حرفاً أقوى منها، فتنقلها بالإدغام إلى القوة وذلك حسن».[٧٩]

ويعلل ابن خالويه إدغام حمزة والكسائي قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُم﴾ النساء: ٩٠، لـ«مقاربة التاء من الصاد».[٨٠]

ومن الجدير بالذكر أنَّ القرَّاء اتفقوا على إدغام تاء التأنيث في المثلين[٨١]، نحو: ﴿فما زَالتْ تلك دَعْواهُم﴾ الأنبياء: ١٥، وفي المتجانسين في الدال والطاء نحو: ﴿أَثْقَلَتْ دَعوا الله﴾ الأعراف ١٨٩، ﴿وَقَالَتْ طَّائِفَة﴾ آل عمران: ٧٢.

٤-مذهبُه في إدغام لام (هَلْ، وبَلْ):

تدغم اللام من (هَلْ) في الثاء على وجه الخصوص، وتدغم اللام من (بَلْ) في الزاي والسين والطاء والظاء والضاد على وجه الخصوص أيضًا، واشتركا في التاء والنون.

أدغم الكسائي اللام من (هَلْ، وبَلْ) في جميع ذلك، أما حمزة فإنّه أدغم عند التاء والثاء والسين فقط، واختلف عنه عند الطاء في (بَلْ طَبَعَ).

أما عاصم فإنه قرأ بالإظهار في جميع ذلك[٨٢]. نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ المطففين: ٣٦، ﴿هَل تَنْقَمونَ﴾ المائدة: ٥٩، ﴿بَلْ تَأْتِيهم﴾ الأنبياء: ٤٠، ﴿هَلْ نَحْنُ﴾ الشعراء: ٢٠٣، ﴿بَلْ نَتَّبِع﴾ البقرة: ١٧٠، ﴿بَلْ زيّن﴾ الرعد: ٣٣، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ يوسف: ١٨، ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ الأحقاف: ٢٨، ﴿بَلْ ظَنَنْتُم﴾ الفتح: ١٢، ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ النساء: ١٥٥.

وأجمع القرَّاء على إدغام اللام من (بَلْ) في ثلاثة مواضع: ﴿بَلْ رَفَعَه﴾ النساء: ١٥٨، ﴿بَلْ رَبُكُم﴾ الأنبياء: ٥٦، ﴿بَلْ رَانَ﴾ المطففين: ١١.

وحجة الإدغام في الحروف الثمانية: «أنّ هذه اللام لما كانت ساكنة في الخلقة، أشبهت لام المعرفة، فأدغمها عند هذه الحروف كما تدغم لام المعرفة عندهن، فأجرى لام (هَلْ، وبَلْ) مجرى لام المعرفة، فأدغمها فيما أدغمه فيه لام المعرفة»[٨٣]، وقال ابن خالويه في إدغام ﴿هَلْ تَعْلَم﴾ مريم: ٦٥: «يقرأ بالإدغام للمقاربة»[٨٤]، فهي مع شبهها لام المعرفة أدغمت للمقاربة.

ويوضح ذلك الأخفش (ت٢١٥هـ) في معانيه بقوله: «إنْ شئت أدغمت وإنْ شئت لم تدغم؛ لأنّ اللام مخرجها بطرف اللسان قريب من أصول الثنايا، والتاء بطرف اللسان وأطراف الثنايا، إلاّ أنَّ اللام بالشق الأيمن أدخل في الفم وهي قريبة المخرج منها، ولذلك قيل ﴿بَلْ تُؤثِرُون﴾ الأعلى: ١٦، فأدغمت اللام في التاء؛ لأنّ مخرج التاء والثاء قريب من مخرج اللام».[٨٥]

لقد أدغم حمزة والكسائي، وهما كوفيان والكوفة متأثرة بالقبائل التي سكنت شرق الجزيرة العربية وهي: تميم وأسد، ثم إن الكسائي كان مولى لبني أسد، تلك القبيلة التي آثرت الإدغام، وقد ورد الإدغام فيما أنشده سيبويه لمزاحم العقيلي:

فَدَعْ ذا ولكنْ هتُّعِينُ متيَّمًا // على ضوءِ بَرْقٍ آخِرَ اللَّيلِ ناصِبِ.[٨٦]

فأصل الكلمة (هَلْ تُعِينُ) لكن الشاعر نطقها بالإدغام، وهذا البيت لشاعر من بني عقيل، وهي من القبائل البدوية الضاربة في صحراء نجد، التي كانت على صلة قوية بالقبائل المدغمة كتميم وأسد، اللتين تؤثران الإدغام.[٨٧]

٥-مذهبُه في إدغام حروف قَرُبَتْ مخارجُها:

١- إدغام (الباء) الساكنة في الفاء:

قرأ خلاّد عن حمزة والكسـائي ووافقهم أبو عمرو بإدغام الباء السـاكنة في الفاء حيث وقعت، وأظهر ذلك عاصم والباقون، نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ يَغْلِب فَسَوفَ﴾ النساء: ٧٤.[٨٨]

والحجة في الإدغام أنّهما اشتركا في المخرج من الشفتين، وفي أنّ لام المعرفة لا تدغم في واحدة منهما، والفاء حرف فيه تفشٍّ وذلك قوة فيه، والباء أقوى منه لأنّها شديدة مجهورة والفاء مهموسة رخوة، فلذلك جاز الإدغام[٨٩]، يقول سيبويه: «والباء قد تدغم في الفاء للتقارب، ولأنّها قد ضارعت الفاء فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حروف الفم».[٩٠]

٢- إدغام الفاء الساكنة في الباء:

وهذه الحالة عكس السابقة، وقد أدغم الكسائي وحده الفاء الساكنة في الباء في موضع واحد، هو قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِم﴾ سبأ: ٩، وأظهرها عاصم والباقون[٩١]، علمًا أنّ الكسائي يقرأها بالياء ﴿إِنْ يَشَأْ يَخْسفْ بِهِم﴾.

وعلّةُ الإدغام فيها مثل سابقتها، إلَّا أنّ أبا علي الفارسي[٩٢] والزمخشري[٩٣] قد ضعّفا القراءة به، وقد رَدّ عليهم أبو حيان: «والقراءة سنّة متبعة ويوجد فيها الفصيح والأفصح، وكل ذلك من تيسيره تعالى القرآن للذكر، فلا التفات لقول أبي علي ولا الزمخشري».[٩٤]

وقد وصف ناظم الشاطبية أيضًا قراءة الكسائي بالشاذة، بقوله: .....// ونخسفْ بهم رعوا وشذّ تثقّلا[٩٥]، وردّ عليه ابن القاصح (ت٨٠١هـ)، أحد شرّاحها: «أيْ وشذ إدغام هذين الحرفين عند النحاة لا القرَّاء، لأن الشاذ عند القرَّاء ما لم يتواتر، وهذا تواتر، والشاذ عند النحاة ما خرج عن قياسه أو ندر».[٩٦]

٣- إدغام الباء الساكنة في الميم:

أدغم حمزة والكسائي بعد إسكان الباء قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ البقرة: ٢٨٤، وأظهر عاصم على رفع الفعل، وأدغم عاصم والكسائي قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ هود: ٤٢، وأظهر حمزة، وصحّ الإدغام في ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾؛ لأنّها تقرأ بجزم الفعل المضارع ﴿ يُعَذِّبْ﴾.[٩٧]

والحجة في الإدغام: قُرب مخرج الباء والميم، وسكون الباء في الموضعين، «والميم حرف قوي بالغنة التي فيها والجهر والشدة اللذين فيها، فإذا أدغمت فيها الباء نقلت الباء إلى

حرف أقوى منها بكثير، لأنك تبدل من الباء عند الإدغام ميمًا؛ مع أنّهما اشتركا في أنّ لام المعرفة لا تدغم في واحدة منهما».[٩٨]

٤- الإدغام الحاصل في كلمة:

منها: إدغام الذال في التاء:

«هذا النوع من الإدغام أقوى وأكثر من الإدغام الواقع في كلمتين؛ لأنّ الحرفين المدغم أحدهما في الآخر فيه، ولا ينفصل أحدهما من أخيه»[٩٩]، نحو: ﴿نَبَذتُهَا، عُذْتُ، اتَّخَذْتُم﴾ وبابه، أدغم حمزة والكسائي ﴿نَبَذْتُها﴾ طه: ٩٦، و﴿عُذْتُ﴾ غافر: ٢٧، وأظهر عاصم.[١٠٠]

وأدغم الكوفيون إلَّا حفصًا ﴿اتَّخَذْتُم﴾ البقرة: ٥١، وبابه[١٠١]، يقول القرطبي (ت٦٧١هـ): «والإدغام طلبًا للتخفيف، والإظهار على الأصل»[١٠٢]. ويقول الفراء (ت٢٠٧هـ): «والإدغام أحبُّ إليّ لأنّها متصلة بحرف لا يوقف على ما دونه».[١٠٣]

ومنها: إدغام الثاء في الذال:

أدغم حمزة والكسائي الثاء في الذال في قوله تعالى: ﴿يلْهَثْ ذَلِكَ﴾ الأعراف: ١٧٦، وأظهر عاصم.[١٠٤]

ومنها: إدغام الثاء في التاء:

أدغم حمزة والكسائي ذلك نحو: ﴿لَبِثْتَ﴾ البقرة: ٢٥٩، ﴿لَبِثْتُم﴾ الإسراء: ٥٢، ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ الأعراف: ٤٣، وأظهر عاصم في ذلك كلّه.[١٠٥]

ومنها: إدغام الدال في الثاء:

أدغم حمزة والكسائي الدال في الثاء، وأظهر عاصمٌ والباقون، وهما موضعان في سورة آل عمران: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ آل عمران: ١٤٥.[١٠٦]

٦-مذهبُه في إدغام حروف الهجاء في أوائل السور:

أدغم أبو بكر عن عاصم والكسائي النون في الواو في كل من: ﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ يس: ١و ٢، ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم: ١، وأظهر حفص عن عاصم وحمزة.[١٠٧]

والحجة لمن قرأ بالإدغام: أنّه أجراه «على نية الوصل، ولمن أظهر: أنّه على نية الانفصال والوقف على النون، إذ هي حروف مقطعة معربة فحقها أن يوقف على كل حرف منها، والوقف على الحرف يوجب إظهاره، ويمنع من إدغامه».[١٠٨]

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا: أنّ أبا زرعة قد نسب موضعي ﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾، و﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ إلى الإخفاء وليس إلى الإدغام.[١٠٩]

أما النون من ﴿طسٓمٓ﴾ في الشعراء والقصص، فجميع القرَّاء أدغم النون في الميم إلاّ حمزة على نية الانفصال.[١١٠]

أما الصاد في الذال من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ في مريم، فأدغم حمزة والكسائي، وأظهر عاصم.[١١١]

ممَّا سبق يتضح لنا أنّ للإدغام عند حفص شرطين:

١- أن يكون الحرفان متماثلين أو متجانسين.

٢- أن يكون الأول منهما ساكنًا والثاني متحركًا.

فإذا كانا متقاربين، أو كان الحرف الأول متحركًا فلا إدغام عنده، وإن كان غيره يدغمه، ويسمى عندهم الإدغام الكبير[١١٢]، مثل ﴿ما سَلَكَكُمْ في سَقَر﴾ المدثر: ٤٢، ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم﴾ البقرة: ٢٠، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ الحج: ٢، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ البقرة: ٢٨٤.

الإدغام التام والإدغام الناقص:

يعدّ الإدغام تامًا إذا عدم الحرف الأول ولم يبق له أثر في النطق؛ فحينئذٍ ينتج عنه ذوبان أولهما في ثانيهما، وتكون المُماثلة تامّة [١١٣]، أما إذا بقيت صفة من صفاته ظاهرة في النطق اعتبر ناقصًا؛ لأنك حينئذ كأنك نطقت ببعض الحرف الأول؛ فتكون المُماثلة غير تامّة [١١٤]، والمفروض في الإدغام أن يمزج الحرف الأول في الثاني، حتى تذهب ذات الحرف الأول بالكلية.

والإدغام في المتماثلين وفي المتجانسين يكون في الغالب تامًا، ويكون ناقصًا في النون الساكنة إذا أدغمت في الواو، أو الياء، فإن الغنة تبقى وهي من صفات النون، وكذلك في الطاء إذا أدغمت في التاء في مثل ﴿أَحَطْتُ﴾ النمل: ٢٢، ﴿فَرَّطْتُ﴾ الزُّمَر: ٥٦، ﴿بَسَطْتَ﴾ المائدة: ٢٨، فإنك تبقي صفة الإطباق في الطاء عند النطق، وكذلك في القاف إذا أدغمت في الكاف في ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُّم﴾ المُرسلات: ٢٠، فإنك تبقي صفة الاستعلاء في القاف عند النطق[١١٥]، وهو أحد الوجهين كما صرح به ابن الجزري في النشر: «وأمّا ﴿نَخْلُقْكُّم﴾ في المرسلات، فتقدَّم أيضًا ما حُكيَ فيه من وجهي الادغام المحض، وتبقية الاستعلاء»[١١٦]، وعن قراءة أبي عمرو فيها، وما يحدث من تغيّرات صوتية، يقول: « أجمع رواةُ الإدغام عن أبي عمرو على إدغام القاف في الكاف إدغامًا كاملًا يذهب معه صفةُ الاستعلاء ولفظُها، ليس بين أئمتنا في ذلك خلاف، وبه ورد الأداء وصحّ النقلُ، وبه نأخذ. ولم نعلم أحدًا خالف في ذلك، وإنّما خالفَ من خالفَ في ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُّم﴾ ممن لم يروِ إدغام أبي عمرو، والله أعلم». [١١٧]

فالإدغام هنا (ناقص) والمماثلة فيه غير تامة؛ وذلك أنّ صوت (الطاء) قد احتفظ بصفة (الإطباق) فيه، ويذهب في ذلك الرَّضِيّ الأستربادي إلى أنّه «إذا أُدغِمت حروف الإطباق فيما لا إطباق فيه، فالأفصحُ إبقاء الإطباق؛ لئلّا تذهب فضيلةُ الحرف» [١١٨]، وهو الأمر الذي جعل طائفة

من العلماء يترددون في تصنيفه «هل هناك إدغام صريح، أو إخفاء لحرف الإطباق، مُسمّى بالإدغام لتقاربهما»[١١٩]، فالإدغام كما ينقل عن ابن الحاجب (مصنف الشافية) «والإطباق في ﴿فَرَّطْتُ﴾ إن كان معه إدغام فهو إتيان بطاء أخرى وجمع بين ساكنين».[١٢٠]

وهو الأمر الذي يصدق على الأفعال (بَسَطْتَ، أَحَطْتُ، فرّطْتُم، فرَّطْتَ)، حيث يحتفظ صوت (الطاء) بإحدى صفاته حينما يلتقي بصوت (التاء) ويتجاور معه.

الواضح أنّه ليس مع الإطباق إدغام صريحٌ؛ ولكنه لمّا اشتدّ التقارب بين صوتي التاء والطاء، وأمكن النطق بالتاء بعدها من غير نقل للسان كان كالنطق بالمِثْل عند المِثْل، فأُطلق عليه الإدغام نتيجة لذلك.[١٢١]

على أنّ هناك أمورًا مستثناةً من قاعدة الإدغام:

يمتنع إدغام النون الساكنة في حروف (يرملون) إذا اتصلت بها في كلمة واحدة في مثل: ﴿الدُّنْيَا﴾ البقرة: ٨٦، ﴿صِنْوَان﴾ الرعد: ٤، ﴿بُنْيَانَهُم﴾ النحل: ٢٦، ﴿قِنْوَان﴾ الأنعام: ٩٩، أما بقية الحروف فلا فرق فيها أن تتصل أو تنفصل إذا توفرت شروط الإدغام.[١٢٢]

– ولحفص الوجهان في قوله: ﴿مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي﴾ فيجوز في الهاء الإظهار والإدغام، ولا يتأتى الإظهار إلا بالسكت على الهاء الأولى سكتة يسيرة.[١٢٣]

– ولا إدغام في الواو المدية في الواو بعدها، ولا في الياء المدية في الياء بعدها؛ فتظهرهما بمقدار حركتين [١٢٤]، مثل: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾ البقرة: ٢٧٧، ﴿الَّذِي يُوَسْوِس﴾ الناس: ٥، فإذا كانت الواو أو الياء لينتين أدغمتهما في المماثل، مثل ﴿آوَوا وَنَصَرُوا﴾ الأنفال: ٧٤، ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ النمل: ١٠.[١٢٥]

– حفصٌ والإدغامَ الكبير.

إنّ حفصًا ليذهب ما تذهب إليه البيئة الحجازية في الإدغام الصغير بأقسامه الثلاثة: المتماثلين، والمتقاربين، والمتجانسين[١٢٦]، ماعدا أصوات محدّدة جمعها العلماء في قولهم (سنشد حجتك بذل رض قثم)، وذلك مبسوط في كتب القراءات[١٢٧]، وكذا عموم الأمر عنده في الإدغام الكبير، باستثناء ألفاظ بعينها، يدغمها لعلّة وأسباب لا يُشترط أن تسري على غيرها من الكلمات.

وقد جاءت الرواية عنه بالإظهار وجهًا واحدًا، إلَّا في كلمات يسيرة ففيها الإدغام، وهي:

١. قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ الكهف: ٩٥.

فإنَّ أصلها " مَكَّنَنِي " بنونين، قرأ حفص بإدغام النون الأولى في الثانية فصارت (مَكَّنِّي) بنون واحدة مشدَّدة، وقرأ ابنُ كثير المكي بالإظهار: (مَكَّنَنِي) على الأصل.[128]

٢. قوله تعالى: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ النمل: ٢١.

فإنَّ أصلها (لَيَأْتِيَنَّنِي) بنونين، قرأ حفص بإدغام النون الأولى في الثانية، فصارت

(لَيَأْتِيَنِّي) بنون واحدة مشدَّدة، وقرأ ابنُ كثير المكي بالإظهار هكذا: (لَيَأْتِيَنَّنِي) على الأصل.[١٢٩]

٣. قوله تعالى: ﴿وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ الأنفال: ٤٢.

فإنَّ أصلها (حَيِيَ) بياءين على الإظهار (الياء الأولى مكسورة والياء الثانية مفتوحة)، قرأ حفص بإدغام الياء الأولى في الثانية فصارت: (حَيَّ)، بياء واحدة مشدَّدة، وقرأ مثله قنبل وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالإظهار (حَيِيَ) على الأصل.[١٣٠]

٤. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ الزمر: ٦٤.

فإنَّ أصلها (تَأْمُرُونَنِي) بنونين، قرأ حفص بإدغام النون الأولى في الثانية، فصارت (تَأْمُرُونِّي)، بنون واحدة مشدَّدة. وقرأ ابن عامر بالإظهار (تَأْمُرُونَنِي) على الأصل.[١٣١]

٥. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ﴾ الأنعام: ٨٠.

فإن أصلها (أَتُحَاجُّونَنِي) بنونين، قرأ حفص بإدغام النون الأولى في الثانية، فصارت (أَتُحَاجُّونِّي)، بنون واحدة مشدَّدة.[132]

ويجدر الإشارة ههنا إلى أنّ هذه الكلمة لم ترسم بنونين في المصاحف العثمانية، ولم يقرأها أحد من القرّاء بنونين مظهرتين، ولهذا فلا عجب لو استبعدها أحدٌ من باب الإدغام الكبير، وذلك وجيه [١٣٣]؛ إلَّا أنّها أُدرجت هنا بسبب وجود من يقرأ بالتخفيف، وهم نافع وابن عامر بخلف عن هشام وأبو جعفر، وذلك في مقابل رواية حفص، التي تقرأ بموجبها بالتشديد، ويلزم معه مدّ الواو مدًّا مشبعًا.

٦. قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ يوسف: ١١.

قرأ حفص على وجه الإدغام مع الإشمام، وذلك بضم الشَّفتين مقارنًا للنطق بالنون الأولى الساكنة حالة إدغامها، وذلك إشارة إلى أن الأصل في النون الضم [١٣٤]؛ لأنَّ كلمة (تَأْمَنَّا) أصلها (تَأْمَنُنَا)، فأُدغمت النون في النون فصارت (تَأْمَنَّا) بنون واحدة مشددة.[135]

أمَّا على وجه الاختلاس وذلك بتبعيض الحركة بصوت خفيّ يسمعه القريب دون البعيد، ويعبر عنه بعضهم بالإخفاء، وبعضهم يعبّر عنه بالروم – وفيه تجوّز – ولا بد معه من الإظهار، وهذا كلّه لا يتحقق إلَّا بالمشافهة والتلقي عن المتخصصين.

قال الداني: " وإشمام النون المدغمة في مثلها في قوله ﴿مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا﴾ يحتمل أن يكون إشارة بالشفتين إلى الحركة بعد الإدغام، وبعد السكون، فعلى هذا يكون إدغاماً تامًا، ويحتمل أن يكون إشارة إلى النون بالحركة، فعلى هذا يكون إخفاء".[136]

ما يُلحق بالإدغام الكبير:

ونعني بذلك: إلحاق ما فيه حرف مشدّد ناتج عن إدغام مثلين كبير، أو أن الأصل أنه بدل حرفين، أو أنه ناتج عن إدغام حرفين بعد طروء إعلال الإبدال على أحدهما، كما سنوضحه

في الكلمات الآتية، مع ملاحظة أنّنا ألحقناها بالباب لأنّ من القراء من قرأها بالتخفيف، بينما رواها حفص بالتشديد، وهو الذي عند علماء القراءات بمعنى الإدغام.

النوع الأول:

ما قرأه حفص بالتشديد (الإدغام)، وقرأه غيره بالتخفيف، من غير تشديد وإدغام، وذلك في الكلمات الآتية:

– الكلمة الأولى: ﴿أمن لا يَهِدِّي﴾ من قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾ يونس: ٣٥.

فقرأ ابن كثير وابن عامر وورش بفتح الياء والهاء وتشديد الدال ﴿أَمَّنْ لا يَهَدِّي﴾، وقرأ أبو جعفر كذلك إلَّا أنّه أسكن الهاء.[١٣٧]

وقرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال ﴿أَمَّنْ لا يَهْدِي﴾.

وقرأ يعقوب وحفص بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ﴿أَمَّنْ لا يَهْدِّي﴾، وروى أبو بكر (شعبة) كذلك؛ إلَّا أنّه يكسر الياء ﴿أَمَّنْ لا يِهْدِّي﴾.

واختلف في الهاء عن أبي عمرو وقالون وابن الجماز، مع الاتفاق عنهم على فتح الياء وتشديد الدال؛ فروى المغاربة قاطبة وكثيرٌ من العراقيين عن أبي عمرو اختلاس فتحة الهاء، وعبّر بعضهم عن ذلك بالإخفاء، وبعضهم بالإشمام، وبعضهم بتضعيف الصوت، وبعضهم بالإشارة.[١٣٨]

فأصل الفعل (يَهْتَدِيْ)، فأبدلت التاء دالاً ثم أدغمت في الدال بعدها، فحصل تجاور ساكنين الأول الهاء والثاني سكون عارض الإدغام، فيلزم مع ذلك تحريك الساكن الأول وهو الهاء، فرواها حفص بالكسر على قاعدته في التقاء الساكنين، وقرئت الدال مشددة مكسورة لمجاورة الياء، وهو قبل الإدغام يحوي على المقاطع الآتية:

يَهْ + تَ + دِيْ

ص ح ص + ص ح + ص ح ح

في حين أنّه بعد الإدغام يصبح على هذا النحو (يَهِدِّيْ)، ويحوي على هذه المقاطع:

يَـ + هِدْ + دِيْ

ص ح + ص ح ص + ص ح ح

فلقد حصل تبدّل بين موقعي المقطعين: الأول والثاني بين الصيغتين، بسبب الذوبان والتماثل التامّ في صوتي (التاء، والدال)، فأدّت إلى تحويل المقطع القصير المفتوح في اللفظ الأول إلى مقطع طويل مغلق ذي حركة قصيرة في اللفظ الثاني، وهو الأمر الذي انعكس على

إيجابًا على التلفّظ به بعد الإدغام، وجعل المتكلّم يتخفّف من خفاء (الهاء) الذي زاد منه مجيئه تاليًا لصوت (الياء) المبتدئ به، وزاد من خفائه حالة التسكين التي صاحبته؛ فكأنّه قد وقع في حفرة زاد فيها عمقًا حالة التسكين الطارئة عليها، فوجد نفسه في اضطرار لأن يتخلّص منها بالإدغام، والمناقلة بين المقاطع، كنتيجة له.

ومن اللطيف في الأمر أنّ المقاطع الصوتية هي نفسها في الصيغتين الأخريين (يِهِدِّي، يَهَدِّي) اللتين خضعتا للإدغام أيضًا، مع اختلاف في الضبط.

– الكلمة الثانية: ﴿يَخِصِّمُون﴾ من قوله تعالى: ﴿ما يَنظُرونَ إلَّا صيحةً واحدةً تأخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُون﴾ يس: ٤٩.

أصلها: (يَخْتَصِمُون) أبدلت التاء صادًا ثم أدغمت في مثيلتها، فحصل تجاور ساكنين: الأول الخاء والثاني سكون الإدغام؛ فيلزم تحريك الساكن الأول وهو الخاء، فرواها حفص بالكسر على أصله في التقاء الساكنين، وقرئت الصاد مشددة مكسورة (حركتها الأصلية).

وسبب إدراج هذه الكلمة هنا، أنّ حمزة يقرأها بالتخفيف (يَخْصِمون) أي بسكون الخاء وصاد خفيفة مكسورة، والضابط الذي اتبعناه هو إدراج أية كلمة رواها واحد على الأقل بالتخفيف، بينما رواها حفص بالتشديد، أي بالإدغام.[١٣٩]

فالكلمتان (يَهِدّي، يَخِصِّمُون) تكونان بعد إعلال الإبدال، وهما قبل الإدغام (يَهْدَدِي، يَخْصَصِمُون) فتجاور في كل منهما حرفان متحركان؛ وذلك سبب إلحاقهما بالإدغام الكبير.

–الكلمة الثالثة: ﴿لا يَسَّمَّعُون﴾ من قوله تعالى: ﴿لا يَسَّمَّعُون إلى الملأِ الأَعلَى﴾ الصافات: ٨.

قرأ الكوفيُّون ومنهم حفص بتشديد السّين والميم (لا يَسَّمَّعُون)، وقرأ الباقون بالتخفيف فيهما (لا يَسْمَعُون)[١٤٠]، أبدلت التاء سينًا ثم أدغمت في السين بعدها، وهي قبل الإدغام (يَسَسَمَّعُون) ثم بعد الإدغام أصبحت (يسَّمَّعُون)، وهذا الإعلال لغويّ، وهو جائز.

ومن أمثلته زيادة على ما ذكرناه: ﴿اصْطَبِرْ﴾ مريم: ٦٥، ﴿اصْطَنَعتُكَ﴾ طه: ٤١، ﴿أَطَّلَعَ﴾ مريم: ٧٨. أصلها: (اصْتَبِرْ، اصْتَنَعْتُك، اطْتَلَعَ) وبإعلال الإبدال أصبحت ﴿اصْطَبِرْ، اصْطَنَعتُكَ، أَطَّلَعَ﴾، ولا خلاف فيهن بين القراء.

–الكلمة الرابعة: (لِيَذَّكَّروا) من قوله تعالى: (ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذَّكَّرُوا) الإسراء: ٤١، الفرقان: ٥٠. [١٤١]

قرأ حمزة والكسـائي وخلف بتخفيف الذال والكاف (ليذْكروا)، وقرأ الباقون ومنهم حفص بتشـديد الحرفين الذال والكاف، والأصـل (ليتذكروا)، فأبدلت التاء ذالًا ثم أدغمت في مثيلتها إدغامًا كبيرًا؛ فهي بالإبدال (ليَذَذكروا)، وبالإدغام (ليذَّكَّروا).

-الكلمتان الخامسة والسادسة: ﴿إِنَّ المصَّدِّقين والمصَّدِّقات﴾ الحديد: ١٨.

قرأ ابن كثير وشعبة بتخفيف الصاد فيهما (المصَدِّقين والمصَدِّقات)، وقرأ الباقون ومنهم حفص بتشديد الصاد والدال في الكلمتين[١٤٢]، إذ الأصل (المتصدقين والمتصدقات)، أصبحتا بالإعلال والإدغام (المصَّدِّقين والمصَّدِّقات)، وبسبب وجود الخلاف في القراءة أدرجناهما في هذا الباب.

وأمّا ما اتفق عليه فلم نذكره مثل: ﴿يصَّدَّعون﴾ الروم: ٤٣، ﴿أَطَّلَعَ﴾ مريم: ٧٨، ﴿فأطَّلَعَ﴾ غافر: ٣٧، ﴿وادَّكَرَ﴾ يوسف: ٤٥، ﴿ليَدَّبَّروا﴾ ص: ٢٩، ﴿مُدَّكِر﴾ القمر: ١٧، ﴿فأصَّدَّق﴾ المنافقون: ١٠، ﴿يطَّوَّف﴾ البقرة: ١٥٨، ﴿اطَّيَّرْنا﴾ النمل: ٤٧، ﴿يشَّقَّق﴾ البقرة: ٧٤، ﴿ليدَّبَّروا﴾ ص: ٢٩.

- الكلمة السابعة: (يَصَّعَّدُ) من قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ الأنعام: ١٢٥.

قرأها ابن كثير (يَصْعَدُ) بسكون الصاد وتخفيف العين، وقرأها شعبة (يصَّاعَد) بتشديد الصاد وزيادة ألف بعدها وتخفيف العين، وقرأ الباقون ومنهم حفص (يَصَّعَّدُ) بتشديد الصاد والعين.[١٤٣]

قراءة التشديد تدلّ على الإدغام، إذ الأصل (يَتَصَعَّد)، ثم أبدلت التاء صادًا (يصَصَعَّد)، ثم أدغمت هذه الصاد في مثيلتها، لتقرأ (يَصَّعَّد).

-النوع الثاني:

وهو ما أظهره حفص بينما أدغمه واحد أو أكثر من أصحاب القراءات المتواترة، وذلك كثير، نذكر منه:

١-جميع ما ورد في باب الإدغام الكبير من قراءة أبي عمرو البصري أو يعقوب أو حمزة أو غيرهم، نحو: ﴿قَالَ لِأَبِيهِ﴾ الصافات: ٨٥، ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يوسف: ٤٩، ﴿جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ هود: ٧٦، ﴿يَعْلَمُ مَا﴾ التغابن: ٤.

٢-تاءات البزي في روايته عن ابن كثير، نحو: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ الحجرات: ١١، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: ١٠٣، ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ البقرة: ٢٦٧، ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ الحجرات: ١٢، ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ النور: ١٥، ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ الحجرات: ١٣. [١٤٤]

٣- كلمات فَرْشية (متناثرة في سور القرآن الكريم)، نذكر منها:

- ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ البقرة: ٢٨٠.

قرأها الجميع ما عدا عاصم بتشديد الصاد، وهي تدل على أن الأصل (وأن تَتَصَدَّقُوا)، ثم أبدلت التاء الثانية صاداً (تصَصَدّقُوا)، ثم أدغمت الصاد المبدلة في الصاد المرسومة فأصبح اللفظ: (وأن تصَّدَّقُوا).[145]

- ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام:١٥٢، وحيثما حيث وردت أيضًا.

قرأها الجميع ما عدا حفص والأصحاب بتشديد الذال لتدل على أن الأصل (تَتَذَكَّرُون)، ثم أبدلت التاء الثانية ذالاً، ثم أدغمت الذال في مثيلتها فأصبح اللفظ عندهم (تَذَّكَّرُون). [١٤٦]

-﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ البقرة:٨٥، و﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ التحريم: ٤.

قرأ الجميع ما عدا عاصم والأصحاب بتشديد الظاء فيهما، والتعليل (تَتَظَاهَرون)، ثم الإبدال (تَظْظَاهَرون)، ثم الإدغام (تَظَّاهَرُون) .[١٤٧]

-﴿تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ الأحزاب:٤.

قرأ الشامي بفتح التاء وتشديد الظاء، وقرأ عاصم بضم التاء وتخفيف الظاء، وقرأ المدنيان والبصريان والمكي بفتح التاء وتشديد الظاء وحذف الألف (تَظَّهرُون)، وقرأ الباقون بفتح التاء وتخفيف الظاء. وقراءة التشديد تعني إعلال الإبدال ثم الإدغام.[١٤٨]

-﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ موضعان بالمجادلة: ٢، ٣.

قرأ عاصم بالتخفيف للظاء مع ضم الياء وألف بعد الظاء، وقرأ نافع والبصريان والمكي بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء مع حذف الألف، وقرأ الباقون بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعد الظاء. وقراءة التشديد تعني الإدغام كما مرّ آنفًا.[١٤٩]

-﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ النساء:١.

قرأ الكوفيون بتخفيف السين، وقرأ الباقون بالتشديد إذ فيها الإعلال (تَتَسَاءَلُون) ثم الإبدال (تَسْسَاءَلُون) ثم الإدغام (تَسَّاءَلُون).[150]

-﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ النساء:٤٢.

قرأ المدنيان والشامي بفتح التاء وتشديد السين، وقرأ الأصحاب بفتح التاء وتخفيف السين، وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين. وقراءة تشديد السين تدل على الإدغام بعد إعلال الإبدال كما مرّ آنفًا.[151]

-﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ النساء:١٥٤.

قرأ المدنيان بتشديد الدال، وقرأ الباقون ومنهم حفص بتخفيف الدال وإسكان العين. قراءة التشديد تدل على الإدغام بعد إعلال الإبدال إذ الأصل عندهم (لا تَعْتَدُوا) فأبدلت التاء الثانية دالاً (لا تَعْدَدُوا) ثم أدغمت الدال الأولى في الدال الثانية (لا تَعَدُّوا)، وقد قرأ أبو جعفر المدني بتسكين العين، وروى قالون الوجهين في العين: الإسكان والاختلاس لحركة الفتح، وروى ورش بفتح العين .[١٥٢]

-﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ الكهف:٩٧.

قرأها حمزة بتشديد الطاء، وقرأ الباقون بتخفيفها، وقراءة حمزة تدل على الإدغام إذ هي

عنده (اِسْتَطَاعُوا) فأبدلت التاء طاءً (اِسْطَطَاعُوا) ثم أدغمت الطاء الأولى في الثانية (اِسْطَّاعُوا) . [١٥٣]

-﴿تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ الفرقان:٢٥.

قرأ المدنيان والمكي والشامي ويعقوب بتشديد الشين، وقرأ الباقون بالتخفيف .وقراءة التشديد تدل على الإدغام إذ الأصل (تَتَشَقَّقُ) فأبدلت التاء الثانية شينًا (تَشَشَقْقُ)، ثم أدغمت الشين الأولى في الثانية. ومثل ذلك موضع سورة ق: ٤٤.[١٥٤]

-﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ مريم:٢٥.

قرأ يعقوب (يَسَّاقَطْ) بالياء على التذكير وتشديد السين وفتح القاف، وروى حفص بضم التاء وتخفيف السين، وقرأ حمزة بتاء مفتوحة وتخفيف السين، وقرأ الباقون بتاء مفتوحة مع تشديد السين. وقراءة التشديد تدل على الإدغام بعد إعلال الإبدال كما مرّ.[155]

-﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ النمل:٣٦.

قرأها حمزة ويعقوب (أَتُمِدُونِّي) بإدغام النونين مع المد المشبع وإثبات الياء في الحالين، وقرأها الباقون بنونين، ومنهم من يثبت ياء الإضافة الزائدة على الرسم؛ فابن كثير يثبتها وصلاً ووقفًا، بينما يثبتها المدنيان والبصري في حال الوصل فقط، ولأجل قراءة الإدغام عند حمزة ويعقوب رأينا أن ندرج الكلمة في هذا الباب.[١٥٦]

-﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ سبأ:٤٦.

رواها رويس عن يعقوب (ثم تَّفَكَّرُوا) بإدغام التاء الأولى في الثانية، بينما رواها حفص والباقون بفك الإدغام.[157]

-﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾الأحقاف:١٧.

قرأ هشام عن ابن عامر بنون واحدة مشددة على إدغام نون الرفع في نون الوقاية مع المد المشـــبع (أَتَّعِدَّانِّي)، وقرأها الباقون بفك الإدغام (أَتَعِدَانِنِي)، ولكن هناك خلاف في ياء الإضافة بين الفتح والإسكان؛ فقرأها المدنيان والمكي بالفتح، وقرأ الباقون بالإسكان.[158]

-﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ النجم:٥٥.

قرأ يعقوب بإدغام التاء الأولى في الثانية وصلاً (ربكَ تَّمَارى)، وقرأ الباقون بفك الإدغام أي إظهار التاءين (تَتَمَارَى)، أما عند البدء فلا بد من إظهار التاءين للجميع .[١٥٩]

-﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ النازعات:١٨.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: (تَزَكَّى) فقرأته عامة قرّاء المدينة (تَزَّكَّى) بتشديد الزاي، وقرأته عامة قرّاء الكوفة، وفيهم عاصم، وكذا أهل البصرة (إِلَى أَنْ تَزَكَّى) بتخفيف الزاي.[١٦٠]

وكان أبو عمرو يقول فيما ذُكر عنه (تَزَّكَّى) بتشـــديد الزاي، بمعنى: تتصـــدّق بالزكاة، فتقول: تَتَزَكَّى، ثم تدغم، وموســـى لم يدع فرعون إلى أن يتصـــدّق وهو كافر، إنما دعاه إلى

الإســـــلام، فقال: تَزَكَى: أي تكون زاكيًا مؤمنًا، والتخفيف في الزاي هو أفصـــح القراءتين في العربية.

قال ابن زيد في قوله ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ قال: إلى أن تُسْـــلِم. قال: والتزكّي في القرآن كله: الإسلام، وقرأ قول الله ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ طه: ٧٦، قال: من أَسْلَمَ، وقرأ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ عبس: ٣، قال: يُسْلِم، وقرأ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى﴾ عبس: ٧، ألا يُسْلِم.

حدثني ســـعيد بن عبد الله بن عبد الحَكَم، قال: ثنا حفص بن عُمَرَ العَدَنِيّ، عن الحكم بن أبان عن عكرمة، قول موسى لفرعون ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾، هل لك إلى أن تقول: لا إله إلا الله.[١٦١]

-﴿فَأَنتَ لهُ تَصَدَّى﴾ عبس:٦.

قرأها المدنيان والمكي بتشديد الصاد إضافة إلى تشديد الدال (تَصَّدَّى)، وقرأ الباقون ومنهم حفص بتخفيف الصاد وتشديد الدال فقط (تَصَدَّى)، قراءة التشديد تدل على أصل اللفظ (تَتَصَدَّى) بتاءين ثم أبدلت التاء الثانية دالًا، وأدغمت في الدال بعدها لتصبح (تَصَّدَّى).[162]

إنّه بالوقوف على هذه المواضـع التي جاء فيها الإدغام في رواية حفص عن عاصـم، يمكننا على الإجابة على هذه التساؤلات:

١- لماذا اختار حفصٌ الإظهار في جلّ قراءته، ما عدا ما كان موضع اتفاق بين القرّاء من الإدغام الصغير، وبعض مواضع من الإدغام الكبير، التي تتصل بقضايا صرفية، تقرّها الفصحى، وتتعامل معها بناء على اعتبارات دلالية، أشار إلى دلالاتها علماء اللغة، حين دراستهم لها في الأبواب الصرفية المعروفة، كباب الإعلال والإبدال؟

٢- ما مدى التزامه في ذلك بطرق روايته، فيما أقرأه به عاصم عن الصحابة الأجلاء: علي بن أبي طالب، وأبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ، وعثمان بن عفان، رضي الله عنهم، وفيما أقرأ به شُعبةَ عن زِرّ بن حُبيش وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهما، وهل ثَمَّة سببٌ في اختيار كلٍّ منهما، يستند إلى النمط اللهجيّ، أو إلى العام الفصيح؟

٣- هل ثَمَّة صلةٌ فيما اختاره حفصٌ، بموضوع الأَقْدَمِ والأَكثَرِ في كلام العرب على الصعيد اللغويّ؟

إنّ حفصًا فيما يرويه عن عاصم، على الرغم من ميله إلى الفكّ والإظهار والتحقيق، قد خالف ذلك في عدد من المواضع، التي تظهر مراعاته التوسّط والاعتدال فيما اختاره في مسألة الإدغام، فهو قد اتَّخذ لنفسه مذهبًا وسطًا وطريقًا معتدلًا، يجمع فيه بين نمطَي نطقها، اعتمادًا على ما يراه من الانسجام الصوتي، بما يفضي إلى دقّة الدلالة، والميلَ إلى ما يمكن أن يكون أصلًا في الوضع اللغوي.

إنّه راعى في ميله إلى الفكّ والإظهار الجانبَ اللهجيّ في البيئة الحجازية، فضلًا على الجوانب الدلالية؛ وذلك أنّ الألفاظ تتمايز دلالاتها بناء على تباين أبنيتها كما بيّن ابن جني ذلك في كتابه (الخصـــائص)، الذي عرض فيه العلاقة بين اللفظ والمعنى، والعلاقة بين اللفظ واللفظ، وأفرد لذلك أبوابًا، من ذلك (باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصـــول والمباني)، الذي عرض فيه لاشـــتراك الأســـماء في المعنى الواحد، وردَّه لوجود تقارب دلالي بين تلك الأسماء.

فما اشتهر به ابن جني في (الخصائص) هو إبرازه ظاهرةً لغويةً تتمثل في تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ، وهو ما سمَّاه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، سجَّل فيه أنَّ مخارج حروف اللفظ التي تقترب من مخارج حروف لفظ آخر، هما متقاربان دلاليًا لتقاربهما فنولوجيًا، وتلك خاصية من خصائص اللغة العربية. [١٦٣]

إنّه في حين كان متوقَّعًا أن ينحو حفص في روايته نحو بيئة أســـد اللغوية؛ كونه – كشـيخه عاصـم– أسـديًّا ولاءً؛ نراه قد جانبها، وذهب إلى الاختيار من عيون الفصـحى، ممَّا يمثِّل القِمّة في الفصاحة والاعتدال اللغوي؛ في حين أنّ زميله شعبة –الأسديّ ولاءً أيضًا– قد فعل ما أعرض عنه حفص؛ فنراه يختار اللون اللهجي الآخر عن شـيخهما عاصـم، فيميلُ إلى ما يتفق مع بيئة بني أسد، فيما رواه عنه.

وقد تجلّى ذلك في جلّ الجوانب الصوتية، أو ما بات يُعرف بـــ (الأصول)، فضلًا على مواضع عديدة من (الفَرش)، في المستويين: الصرفي، والنحويّ.

فكما هو معروف أنّ قبيلة أسـد كانت تنتشـر في أرجاء شـاسـعة من وسـط الجزيرة العربية باتجاه العراق، فهي تجاور بيئة الحجاز من الغرب، وبيئة تميم من الشـــرق، وقد امتدّ نشـــاطها من وادي الرُّمّة جنوبًا إلى أطراف الكوفة شـــمالًا، وهي قد جاورت أيضًـــا طائفةً من القبائل، كقبيلة طيِّئ، وقيس، وبطونهما، فلا شـكَّ أنّه قد وقع تأثّر وتأثير بين لهجتها ولهجات تلك القبائل؛ فهي قد جاءت متضمنة ألفاظًا وعادات نطقية، منها ما هو حجازي وتميميّ، وغير ذلك ممّا ينتمي إلى القبائل التي جاورتها، ولربما كان لهذا صدى في رواية حفص عن عاصم.

فهو على الرغم من جمعه في قراءته بين قراءتي: أهل المدينة، وأهل الكوفة؛ اسـتطاع من خلال ظاهرة الإِختيار من تأليف حروف قراءته، على النحو الذي جاء متوافقًا مع خصائص ما صـــار يُعرف فيما بعد بالعربية الفصـــحى، التي اِســـتمدت أكثر خصـــائصـــها من لغة أهل الحجاز. [١٦٤]

وذلك ما جعل ثَمَّة اتفاقًا بين العلماء على توسّط رواية حفص، فضلًا على فصاحتها، وثقـة نـاقلهـا، كمـا ذكرَ مكيٌّ [١٦٥]، فهي تميـل إلى التوســـط والاعتـدال في عموم الظواهر

الصوتية، وهي يسيرة سهلة الأداء، والنفس ترغب في التيسير، فليس فيها عملٌ كثيرٌ إضافي، كغيرها من قراءة الكوفيين؛ فضلاً على غيرهم، كالإمالة الكثيرة في قراءة حمزة والكسائي وخلف، وتخلو من المدّ المشبع في المنفصل والمتصل، والسكت المتكرر على الهمز الذي قبله ساكن موصولًا كان أم مفصولًا، والوقف على الهمز في قراءة حمزة وهشام، وإمالة هاء التأنيث حال الوقف عند الكسائي، والمدود في قراءة ورش عن نافع، أو صلة ميم الجمع وسكونها واختلاف المد المنفصل في قراءة قالون عن نافع أيضًا، والصلة المتكررة أيضًا في قراءة ابن كثير المكي وأبي جعفر المدني، أو الإدغام الكثير للمثلين الكبير والمتقاربين في رواية السوسي عن أبي عمرو، أو العمل في الهمز المتتالي سواء كان في كلمة أو كلمتين، عند نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

الخاتمة:

١. إنّ حفصًا قد راعى في ميله إلى الفكّ والإظهار الجانبَ اللهجيّ في البيئة الحجازية، فضلًا على الجوانب الدلالية؛ وذلك أنّ الألفاظ تتمايز دلالاتها بناء على تباين أبنيتها.

٢. إنّ حفصًا على الرغم من ميله إلى الفكّ والإظهار والتحقيق، فإنّه قد خالف ذلك في عدد من المواضع؛ الأمر الذي يظهر مراعاته التوسّط والاعتدال فيما اختاره في مسألة الإدغام، فهو قد اتَّخذ لنفسه مذهبًا وسطًا وطريقًا معتدلًا، يجمع فيه بين نمطَي نطقها، اعتمادًا على ما يراه من الانسجام الصوتي، بما يفضي إلى دقّة الدلالة، والميلَ إلى ما يمكن أن يكون أصلًا في الوضع اللغوي.

٣. إنّه في حين كان متوقَّعًا من حفص أن ينحو في روايته نحو بيئة أسد اللغوية؛ كونه – كشيخه عاصم– أسديًّا ولاءً؛ نراه قد جانبها، وذهب إلى الاختيار من عيون الفصحى، ممَّا يمثِّل القِمّة في الفصاحة والاعتدال اللغوي.

٤. إنّ قبيلة أسد التي كانت تنتشر في أرجاء شاسعة من وسط الجزيرة العربية باتجاه العراق، قد جاورت بيئة الحجاز من الغرب، وبيئة تميم من الشرق، وامتدّ نشاطها من وادي الرُّمّة جنوبًا إلى أطراف الكوفة شمالًا، وجاورت أيضًا طائفةً من القبائل، كقبيلة طيِّئ، وقيس وبطونهما؛ ما أدّى إلى وقوع تأثّر وتأثير بين لهجتها ولهجات تلك القبائل، فجاءت لهجتها متضمنة ألفاظًا وعادات نطقية، منها ما هو حجازي وتميميّ، وغير ذلك ممّا ينتمي إلى القبائل التي جاورتها، ولربما كان لهذا صدى في رواية حفص عن عاصم.

٥. إنّه هو على الرغم من جمع حفص في قراءته بين قراءتي: أهل المدينة، وأهل الكوفة؛ فقد استطاع من خلال ظاهرة الاِختيار من تأليف حروف قراءته، على النحو الذي جاء متوافقًا مع

خصائص ما صار يُعرف فيما بعد بالعربية الفصحى، التي اِستمدت أكثر خصائصها من لغة أهل الحجاز؛ وذلك ما جعل ثَمَّة اتفاقًا بين العلماء على توسّط رواية حفص، فضلًا على فصاحتها، وثقة ناقلها، فهي تميل إلى التوسط والاعتدال في عموم الظواهر الصوتية، وهي يسيرة سهلة الأداء، والنفس ترغب في التيسير.

الهوامش والمصادر:

١.ينظر: معرفة القرَّاء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق د.بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م: ٨٨/١، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: ٢٥٧/٥.

٢. ينظر: غاية النهاية في طبقات القرَّاء، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، عني بنشره ج. براجستراسر، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، باب السين: ٣/ ٥٩، قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود، د. عبد العزيز القارئ، مطبعة الدار، المدينة المنورة، ط ٥، ١٤١٠هـ، ص ٢٧.

٣. معرفة القرَّاء الكبار، الذهبي: ٩٣/١.

٤. معرفة القرَّاء الكبار، الذهبي: ٩٢/١.

٥. سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢٥٧/٥.

٦. معرفة القرَّاء الكبار، الذهبي: ٨٩/١.

٧.ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، أبو الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ)، تحقيق د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م: ٤٧٥/١٣.

٨. ينظر في ترجمته: معرفة القرَّاء الكبار، الذهبي: ١٣٤/١.

٩. ينظر: من لغات العرب "لغة هذيل"، عبد الجواد الطيب، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٧١، المستوى اللغوي الفصيح واللهجات، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م، ص ٧٢.

١٠. تهذيب الكمال، المزي: ٤٧٦/١٣.

١١. ينظر: غاية النهاية في طبقات القُرَّاء، ابن الجزري: ١/ ٣١٦.

١٢. ينظر: هامش كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، أحمد بن موسى، (ت٣٢٤هـ)، تحقيق د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م، ص ٦٩.

١٣. ينظر: معرفة القرَّاء الكبار، الذهبي: ١٣٤/١.

١٤. غاية النهاية في طبقات القُرَّاء، ابن الجزري: ١/ ٣١٦.

١٥. غاية النهاية في طبقات القُرَّاء، ابن الجزري: ١/٢٣٠.
١٦. غاية النهاية في طبقات القُرَّاء، ابن الجزري: ١/ ٢٣٠.
١٧. معرفة القرَّاء الكبار، الذهبي: ١/١٣٤.
١٨. غاية النهاية في طبقات القُرَّاء، ابن الجزري: ١/ ٢٣٠.
١٩. ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ٥٠٨، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تصحيح ومراجعة الأستاذ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان: ٢/ ٣٤٥، ٣٤٦.
٢٠. السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ٦٩، غاية النهاية في طبقات القُرَّاء، ابن الجزري: ١/ ٣١٦.
٢١. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق د.مهدي المخزومي، و د.إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م: ١/٤٩. (اسْبَكَرَّتِ الجاريَةُ: اعْتَدَلَتْ واسْتَقامَتْ).
٢٢. الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه د.أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ٢/٤٠٠-٤٣٠.
٢٣. ينظر: الكتاب، سيبويه: ٤/٥٧٢- ٦١٤، الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق د.محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م: ٢/١٣٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق د.محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م: ١/١٣٤-١٦٠، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/٢٧٤، ٢/ ٣٠٤، الإدغام الكبير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ)، تحقيق ودراسة د.عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، إدغام القُرَّاء، السيرافي، الإدغام الكبير، مكي، ذكره محقق الإدغام الكبير لأبي عمرو الداني د. عبد الرحمن حسن العارف، الإدغام في القرآن، الإدغام الكبير بين القرَّاء والنحويين لتماضر رحيم هاشم، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة البصرة، ١٩٨٩م.
٢٤. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ١٢/٢٠٣.
٢٥. الخليل، العين: ٤/٣٩٥.
٢٦. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ)، ضبطه وصححه وخرج شواهده: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م: ٤/٤٨٥، شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ)، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه د.أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م: ٥/ ٥١٢.
٢٧. إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ)، حققه وقدم له: د عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م :١/٦١، وينظر: حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت٤٠٣هـ)، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٨٤.
٢٨. التكملة، أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت٣٧٧هـ)، تحقيق كاظم بحر المرجان، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م: ٦٠٨،٦١٤، وينظر: أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن أبي الوفا (ت٥٧٧هـ)، تحقيق محمد بهجة البيطار، دمشق، مطبعة الدقي، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ص ٤١٨، ٣٥٨.
٢٩. الكشف، مكي: ١/ ١٤٣.
٣٠. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/٢٧٤، وينظر: ١/ ٢٧٩.

٣١. ينظر: أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، د.عبد الصبور شاهين، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، القاهرة، ص٢٣١، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د.غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود. بغداد، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٩٤.

٣٢. ينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات، د. رشيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٠٢.

٣٣. الكتاب، سيبويه: ٢ / ٤٣٠.

٣٤. الكتاب، سيبويه: ٤/ ٥٥٨.

٣٥. المقتضب، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م: ١/ ٢٢٢.

٣٦. الكشف، مكي: ١/ ١٣٤.

٣٧. الإدغام الكبير، الداني، ٩٢.

٣٨. إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٤٣٩هـ: ١/ ٦٠.

٣٩. الموضح في وجوه القراءات وعللها، دراسة صوتية صرفية نحوية، د.صالح حيدر علي الجميلي، رسالة دكتوراة كلية الآداب– الجامعة المستنصرية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م: ١/١٩٣.

٤٠. ينظر: الكشف، مكي: ١/ ١٣٤، شرح المفصل، ابن يعيش: ٥/ ٥١٣، شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الأستر آبادي (ت٦٨٦هـ)، تحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان: ٣/ ٢٥٠.

٤١. أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين، ٧٢.

٤٢. ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز، د.صاحب جعفر أبو جناح، مطبعة جامعة البصرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٤٥.

٤٣. أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين، ٧٩.

٤٤. في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٨، ١٩٩٢م، ص٧١–٧٣.

٤٥. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٢٨٥.

٤٦. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٢٧٥، وينظر: الكتاب، سيبويه: ٤/ ٤٣١، الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، أحمد بن علي (ت٥٤٠هـ)، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م: ١/ ١٢٠، إبراز المعاني، أبو شامة:١/٦٠، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د.غانم قدوري الحمد، ط١، وزارة الأوقاف العراقية، إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٦م، ص ٣٩٨.

٤٧. ينظر: التيسير في القراءات السبع، الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ)، تصحيح أوتويرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٨٠، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٣٠٠.

٤٨. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٢٧٥.

٤٩. ينظر: الإقناع، ابن الباذش:١/١٤٧، إبراز المعاني، أبو شامة:١/ ١٣٨، النشر في القراءات العشر، ابن

الجزري: ١/٢٧٤، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر، بدون تاريخ وسنة طبع: ١/٢٧٠.

٥٠. ينظر: التيسير، الداني، ٤٢، العنوان في القراءات السبع، ابن خلف، أبو طاهر إسماعيل بن خلف (ت٤٥٥هـ)، تحقيق د.زهير زاهد، د.خليل العطية، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٥٦.

٥١. لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٣١ (ظهر).

٥٢. الإضاءة في بيان أصول القراءة، علي محمد الضباع، عُني بنشره محمد خلف الحسيني، المكتبة الأزهرية، مصر، ١٩٣٨م، ص ١١.

٥٣. ينظر: الكشف، مكي: ١/ ١٣٤.

٥٤. ينظر: التيسير، الداني، ٨٢، الإقناع، ابن الباذش:١/ ٣٩٤.

٥٥. الكشف، مكي: ١/٤١٣.

٥٦. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/٢٥٥.

٥٧. هو للحارثي، وتتمته: إني كبيرٌ لا أُطيقُ العَنَدا.

٥٨. ليس بحديث، ينظر: موقع الدُّرر السنية، بإشراف علوي بن عبد القادر السقاف: https://www.dorar.net/fake-hadith?q.

٥٩. لسان العرب، ابن منظور: ١٥/ ٤٩٤ (وسط).

٦٠. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ، ص ٢٢٢.

٦١. الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م: ٦ /٤٢٠.

٦٢. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د.عبد الصبور شاهين، ط١، دار القلم، ١٩٦٦م، ص ١٧١.

٦٣. شرح الشافية، الرَّضِيّ: ٣/٥.

٦٤. في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ٦٩.

٦٥. كلام العرب، من قضايا اللغة العربية، د. حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م، ص ٨٩.

٦٦. ينظر: التيسير، الداني، ٤٢، العنوان، ابن خلف، ٥٦.

٦٧. ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ١٢٣، التبصرة في القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق د.محيي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ط١، الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م،ص ١١١، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/٢.

٦٨. الرخاوة: هي جريان الصوت مع الحرف عند النطق به، وهي صفة لحروف الهجاء، سوى حروف الشدة (أجدت طبقك) والحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة وهي (لنْ عمر). أما الشدة: فهي منع جريان الصوت مع الحرف عند النطق به؛ لاشتداد لزومه لموضعه وقوته، وحروفه (أجدت كقطب). ينظر: التمهيد في علم التجويد، بن الجزري، تحقيق د.غانم قدوري حمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ٩٧، أصوات العربية بين التحول والثبات، د.حسام النعيمي، ط بغداد، ١٩٨٩م، ص ٢٧.

٦٩. ينظر: الكشف، مكي: ١/ ١٤٧، إبراز المعاني، أبو شامة:١/ ١٤٠.

٧٠. ينظر: الكشف، مكي: ١/ ١٤٧، إبراز المعاني، أبو شامة:١/ ١٤٠.
٧١. ينظر: الكشف، مكي: ١/ ١٤٨.
٧٢. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري، ٣٢٨، ٤٠٠، وينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي، تحقيق د.أحمد حسن فرحات، دمشق، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص١٨٠، مفهوم القوة والضعف في الأصوات العربية، رسالة دكتوراة، محمد يحيى سالم الجبوري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٥٠.
٧٣. ينظر: التبصرة، مكي، ١١١، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/٣.
٧٤. ينظر: الكشف، مكي: ١/ ١٤٠.
٧٥. ينظر: الكشف، مكي: ١/ ١٤٦.
٧٦. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ١١٧.
٧٧. إعراب القرآن، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت٣٣٨هـ)، تحقيق د.زهير غازي زاهد، مطبعة العاني- بغداد، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م: ٣/ ٣٧١.
٧٨. ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد: ١٢٢، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى (منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات)، الدمياطي، أحمد بن محمد البنا (ت١٠١٧هـ) تحقيق د.شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، عالم الكتب- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ١٩٨٧م: ١/١٣٢، الإقناع، ابن الباذش: ١٤٨- ١٤٩، إبراز المعاني، أبو شامة:١/ ١٤١.
٧٩. الكشف، مكي: ١/ ١٥٠.
٨٠. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه،١٠٠.
٨١. ينظر: الكنز في القراءات العشر، الواسطي، عبد الله بن عبد المؤمن (ت٧٤٠هـ)، دراسة وتحقيق د.خالد أحمد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م:١/ ١٨٨، الإتحاف، الدمياطي: ١/ ١٣٢.
٨٢. ينظر: الكشف، مكي: ١/ ١٥٣، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/٦.
٨٣. حجة القراءات، أبو زرعة، ١٢١، وينظر: الكشف، مكي: ١/ ١٥٣.
٨٤. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ٢١٣.
٨٥. معاني القرآن، الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ) تحقيق د.فائز فارس، دار الأمل، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م: ٢/ ٥٣٣.
٨٦. ورد هذا البيت في كتاب سيبويه: ٤ / ٤٥٩.
٨٧. ينظر: شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م: ١/ ٢٠٢.
٨٨. ينظر: التبصرة، مكي، ١١٤، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٨.
٨٩. ينظر: الكشف، مكي: ١/ ١٥٥.
٩٠. الكتاب، سيبويه: ٤/ ٥٨٤.
٩١. ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ٥٢٧، التبصرة، مكي، ١١٥، التيسير، الداني، ٤٤، الإقناع، ابن الباذش:١/ ١٦٦.
٩٢. ينظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي: ٣/ ٢٨٩.

٩٣. ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، دار الفكر- بيروت: ٣/ ٢٨١.

٩٤. البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ)، دار الفكر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م: ٧/٢٦١.

٩٥. ينظر: متن الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع)، الشاطبي، القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي الرعيني (ت ٥٨٠هـ)، تحقيق د. أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، مكتبة ابن الجزري، دمشق، ط١، ٢٠١٣م، ص ٤٥.

٩٦. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح، أبو القاسم علي بن عثمان (ت٨٠٢هـ)، مراجعة الشيخ علي محمد الضباع، ط دار الفكر بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٤م، ص ٩٩.

٩٧. ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ١٩٥، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ١٠.

٩٨. الكشف، مكي: ١/ ١٥٦، وينظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ١٨٧.

٩٩. الكشف، مكي: ١/ ١٥٩.

١٠٠. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري:٢/ ١٦.

١٠١. ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ١٥٥، الكنز في القراءات العشر، الواسطي: ١/١٧٧، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/١٥.

١٠٢.الجامع لأحكام القران، القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، ضبط ومراجعة صدقي جميل العطار، وخرج أحاديثه: الشيخ عرفان العشّا، دار الفكر، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ١٦/ ٩٩.

١٠٣.معاني القرآن، الفراء، أبو زكريا، يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ)، تحقيق د.أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور: ٢/ ٣٥٤.

١٠٤. ينظر: التيسير، الداني، ٤٤، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ١٣، الإتحاف، الدمياطي: ١/ ١٣٨.

١٠٥. ينظر: التيسير، الداني، ٤٣، الإقناع، ابن الباذش:١/ ١٦٣.

١٠٦. ينظر: الإقناع، ابن الباذش: ١٦٤.

١٠٧. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ١٧- ١٨، الإتحاف، الدمياطي: ١/١٤٠- ١٤١.

١٠٨. الكشف، مكي: ٢/ ٢١٤، ٣٣١، وينظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي: ٣/ ٣٠٤، ٤/ ٥٦.

١٠٩. ينظر: حجة القراءات، أبو زرعة، ٥٩٥، ٧١٧.

١١٠. ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ٢/٤٨، الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ٢٤٢، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ١٩.

١١١. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/١٧.

١١٢. انفرد ابن جني بمصطلحات خاصة فنجد عنده (الإدغام الأكبر)، ويعني به الإدغام بنوعيه الصغير والكبير، و(الإدغام الأصغر) ويعني به تأثر الصوت بصفة غيره ومماثلته له مماثلة غير تامة، مثل إمالة الألف، وتحول التاء إلى الطاء في جوار الأصوات المطبقة، أو إلى دال بعد الأصوات المجهورة، مثل: اصطبر، ازدهر. ينظر: الخصائص، ابن جني: ٢/ ١٣٩، ١٤١.

١١٣. ينظر: المُماثلة الصوتية في البنية والتراكيب، د.إبراهيم جميل محمد، مكتبة المتنبي، الدمام، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٠٥.

١١٤. ينظر: المُماثلة الصوتية في البنية والتراكيب، إبراهيم جميل، ١٠٨.

١١٥. القاف مع الكاف: ولا يوجد إلاّ آية واحدة في القرآن الكريم لها هذا الحكم هي: ﴿**أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ**﴾، ولها حالتان: أ- الإدغام الكامل، فتقرأ "ألم نخلُّكُم". ب- الإدغام النّاقص، أي تدغم القاف في الكاف، فتسقط ذات القاف، وتشدّد الكاف بعدها مع ظهور صفة الإستعلاء على الكاف مع أنّها صفة للقاف، والقارئ مخيّر بين الوجهين. **ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢٠.**

١١٦. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ١٩.

١١٧. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٢٩٩.

١١٨. شرح الشافية، الرَّضِيّ: ٣/ ٢٨١.

١١٩. شرح الشافية، الرَّضِيّ: ٣/ ٢٨٢.

١٢٠. شرح الشافية، الرَّضِيّ: ٣/ ٢٨٢.

١٢١. ينظر: المُماثلة الصوتية في البنية والتراكيب، إبراهيم جميل، ١١٠.

١٢٢. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢٥.

١٢٣. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢١، الفتح الرحماني، شرح كنز المعاني بتحرير حرز الأماني، سليمان الجمزوري (ت ١١٩٨هـ)، حققه وعلق عليه عبد الرازق علي موسى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٢٧، ٢٣٧.

١٢٤. سماهما بعضهم: الحرفان اللذان اتحدَّا في الاسم والرسم. ينظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح السيد المرصفي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط٢: ١/٢١٧.

١٢٥. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٢٨٣، ٢٨٥.

١٢٦. ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز، صاحب أبو جناح، ٤٥.

١٢٧. الإضاءة، الضباع، ٦٢.

١٢٨. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٣٠٣.

١٢٩. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٣٧.

١٣٠. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢٦٧.

١٣١. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٦٢.

١٣٢. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢٥٩.

١٣٣. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٣٠٣.

١٣٤. الإشمام: "هو ضم الشفتين من غير إطباق لها بعد إسكان الحرف كمن ينطق بالضمة، فهو يرى ولا يسمع أو يكور شفتيه كمن يُقبل". ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٢٩٧.

١٣٥. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري:١/ ٢٩٦، ٣٠٣.

١٣٦. التحديد في الإتقان والتجويد، الداني، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، مكتبة دار الأنبار – بغداد، مكتبة دار الأنبار، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٥٠، والسبب في جعله (إخفاء)، أنّ حقيقة الإدغام راجعة إلى الإخفاء؛ وسمي بالإدغام: لأن الإدغام لا يتأتى إلاَّ بتحريك ما قبله وإن خفيت الحركة، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ﴿مِنْ الْعِلمِ مَالِك﴾، ﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ وقس على ذلك. ينظر: رواية السوسي من قراءة أبي عمرو البصري من طريقي الشاطبية والطيبة، توفيق إبراهيم ضمرة، الأردن، عمان، ٢٠٠٧م، ص ١٨.

١٣٧. أرى أنّ المراد هو اختلاس حركة الهاء وتضعيفها وليس إسكانها، كما روى المغاربة وكثير من العراقيين ذلك عن أبي عمرو؛ لأنّه يصعب التقاء سكون الهاء مع سكون الدال بسبب حالة الإدغام الكبير الطارئة.

١٣٨. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢٨٣.

١٣٩. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٥٣.

١٤٠. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٥٦.

١٤١. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٠٥.

١٤٢. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٨٤.

١٤٣. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٦٢.

١٤٤. ينظر في أمر تاءات البزي عن ابن كثير: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٣٠٣، ٢/ ٢٣٢.

١٤٥. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢٣٦.

١٤٦. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢٦٦.

١٤٧. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢١٨.

١٤٨. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٤٧.

١٤٩. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٨٥.

١٥٠. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢٤٧.

١٥١. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢٤٩.

١٥٢. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٢٥٣.

١٥٣. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣١٦.

١٥٤. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٣٤.

١٥٥. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣١٨.

١٥٦. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٣٠٣، ٢/ ٣٣٨.

١٥٧. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٣٠٣.

١٥٨. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٣٠٣.

١٥٩. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٣٠٣.

١٦٠. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/ ٣٩٨.

١٦١. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ٢٤/ ٥٨٤.

١٦٢. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٣٠٣، ٢/ ٣٩٨.

١٦٣. ينظر: الخصائص، ابن جني: ٢/ ١٤٥.

١٦٤. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ١٢٦، وغاية النهاية: ١/ ٢٠٢.

١٦٥. التبصرة، مكي، ٢١٩.